إيضاح ما يوهم ظاهره التعارض
في بعض آيات القرآن الكريم

إعداد

أ.د. سليمان بن صالح القرعاوي

أستاذ القرآن وعلومه المشارك

قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية

جامعة الملك فيصل الأحساء - المملكة العربية السعودية

١٤١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾[1] - قرآنا عربيًّا غير ذي عوج، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له - جعل كتابه تبيانًا لكل شيء - مبرأ من أي تعارض ولا تناقض ولا اختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2] - وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله - الذي لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾[3] اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وعلى صحبه الذين تَفَهَّمُوا كتاب الله، فاشتغلوا به آناء الليل وأطراف النهار، فزادهم الله هدى، وآتاهم تقواهم، وبعد :

فإن بعض الدارسين ممن لم يتعمقوا فهم بعض الآيات لقصر في النظر وضعف في الأداة وسوء في النية الطَوِيَّة، قد وهموا أو أوهموا بأن هناك تعارضًا، بين مدلول بعض الآيات التي قد يكون معناها مقيدًا بقيود تخصص دلالتها، ومدلول آيات أخر، قد يكون مدلولها مطلقا غير مقيد، أو مقيداً بقيود غير التي اقترنت بها تلك الآيات.

فالنص نسق من الكلام الذي تتصل أجزاؤه اتصالاً يحدد دلالته، ويميزها، ويخصصها، ومن ثمَّ فإن اقتطاع بعض أجزاء هذا الكلام عن السياق، والنظر إليه، والبحث عن دلالته بمعزل عن سياقه قد يكون خطأً كبيرًا.

---

[1] () سورة الكهف الآية ((١

[2] () سورة النساء الآية (.(٨٢

[3] () سورة النجم الآيات (٣-٥).

لذلك قصدت دراسة تلك المواضع التي أشكل على بعض الدارسين فهم معناها، أو التي وَهِموا أن في دلالتها تعارضًا مع غيرها من الآيات، وأن أكشف عن تلك الدلالة وأزيل الإيهام الذي يتصل بالدارسين، ولا يتصل بكلام الله، وأن أكشف عن مدلولات النصوص، وأوضح ما وقع فيه الواهمون والموهمون من خطأ، وما التبس عليهم، أو ما حاولوا جعله ملبسًا؛ فراحوا يقولون بتعارض مدلول بعض الآيات مع غيرها .

وقد تناول بعض العلماء هذا الموضوع ومن أقدمهم ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن » [٤] في مبحث – باب التناقض والاختلاف . حيث ضمنه ثلاثًا وعشرين مسألة ردَّ عليها جميعًا، وأثبت أنه لا تنافٍ فيها ولا تعارض .[٥]

وكذلك الزركشي في كتابه : « البرهان في علوم القرآن» [٦] فقد أورده في النوع الخامس والثلاثين في معرفة موهم المختلف، وانتظمت الموضوعات التي تطرق إليها اثنتين وأربعين مسألة، وقد ردَّ على دعاوى القائلين بالتعارض فيها.[٧]

وكذلك السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» [٨] إذ أورد النوع الخامس والأربعين في مُشْكِلِهِ ومُوهم الاختلاف والتناقض) تطرق لبعض المواضع مقتفيًا أثر ابن قتيبة والزركشي، ناقلاً عنهما ما أورداه في كتابيهما [٩]، مع فضل بيان.

---

[٤]() مطبوع وقد قام بشرحه ونشره السيد أحمد صقر، ونشره المكتبة العلمية بيروت .

[٥]() ص ٦٥ . 85 –

[٦]() مطبوع، وقد حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ونشره ، مكتبة دار التراث. القاهرة.

[٧]() 2 / 45 – 66.

[٨]() مطبوع، وقد حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ونشره المكتبة العلمية بيروت.

[٩]() 3 /79 – 89.

وتناول هذا الموضوع الشنقيطي في كتابه «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»[١٠] استقصى الآيات التي ظاهرها التعارض، وجاءت هذه المواضع في مائتين وتسعة وثلاثين موضعـًا مع التكرار مرتبة وفق السور القرآنية.

وعلى الرغم من الجهد الواضح لهؤلاء العلماء في الرَّد على القائلين بالتعارض بين بعض آيات القرآن الكريم، فإن هناك بعض المواضع التي لم يتناولوها، فضلاً عن أن هناك بعض المواضع التي رأيت أنها في حاجة إلى فضل بيان، وبعض المواضع التي رأيت أن أصحح مفهومها، وأستدرك على ما قالوه في هذا الشأن.

ولا شك أن الرد على الطاعنين في القرآن الكريم هو واجب كل مسلم، فإن المسلم لابد أن يدفع عن القرآن أي شبهة من الشبهات، سواء أكان عالمـًا بالدليل أم غير عالم به، وهذا فرض عليه، فإذا استطاع بتوفيق الله أن يرد بالدليل على الطاعنين والذين يبتغون الفتنة؛ فإنه يكون قد أدى واجبـًا، رأى الأئمة أنه يفوق الجهاد في درجته، يقول الرسول ق: «جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم»[١١]. مصداقـًا لقول الله تعالى: ﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ. [١٢] ﴾

وقال ابن قتيبة : (وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا،

---

[١٠]() مطبوع، وقد نشره مكتبة ابن تيمية . القاهرة.

[١١]() رواه أحمد ٣/ ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢١٥ وإسناده قوى ، والدارمي ٢/ ٢١٣ في الجهاد باب جهاد المشركين باللسان واليد ، ورواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب كراهة ترك الغزو ح ٢٥٠٤ ، رواة النسائي في الجهاد باب وجوب الجهاد ٦/ ٧ ، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢/ ٨١ .

[١٢]() سورة التحريم الآية (.(٩

واتبعوا ﴿ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ[١٣]﴾ بأفهام كَلِيلةٍ، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فَحرَّفُوا الكلام عن مواضعه، وعدلوا عن سُبُله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الْغُمر، والحَدث الغِرّ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور.

ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأولهم يسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله ق يحتج عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطن بعد موطن، على أن يأتوا بسورة من مثله. وهم الفصحاء والبلغاء، والخطباء والشعراء، والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد، واللَّددَ في الخصام، مع اللب والنُهى وأصالة الرأي. وقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب، وكانوا مرةً يقولون : هو سحر [١٤]، ومرة يقولون: هو قول الكهنة[١٥]، ومرة: أساطير الأولين.[١٦]

ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات أنهم جدبوه من الجهة التي جدبه منها الطاعنون [١٧]انتهى.

---

[١٣]() سورة آل عمران الآية (.(٧

[١٤]() يشير إلى قوله تعالى من سورة يونس الآية (٧٦) و ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ .﴾

[١٥]() يشير إلى قوله تعالى من سورة الحاقة الآية (٤٢) ﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾.

[١٦]() يشير إلى قوله تعالى من سورة الفرقان الآية (٥)، ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليهم بكرة وأصيلاً﴾.

[١٧]() تأويل مشكل القرآن ص ٢٢ .23 –

ولا شك أنه من واجب كل مسلم قادر على تفنيد دعاوى الطاعنين أن يرد عليهم بالدليل وهو عندي يمثل فرض كفاية.

يقول ابن تيمية : (فالرادُّ على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد.[١٨]

وبالجملة، فإن كتاب الله قد تولاه سبحانه وتعالى بالحفظ والتمكين، وقيَّض له سبحانه أسباب هذا الحفظ من كشف زيف الطاعنين، وشبهات المغرضين[١٩] سواء أكان ذلك من أعدائه أم من المنتسبين إليه، ولذا يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[٢٠] ﴾

فالقضية في هذا البحث – من وجهة نظر موضوعية – تتصل بالموضوع في إطار موضوعي، وتتصل بالموضوع فيما يتعلق بالعقيدة الصحيحة، مع الإقرار بأن هناك مُسلَّماتٍ أساسية تتصل بهذه الجوانب، فضلاً عن أن النصوص لا تنفصل عن سياقها، بل لابد أن تستنبط دلالتها من السياق، ومن سبب النزول، وما يتصل بها لغة وشرعا. لذا جاء هذا البحث متناولاً للموضوعات في اثني عشر ومائة موضعـًا مرتبة وفق ترتيب السور القرآنية.

وقد أفدت من الدراسات السابقة، وأضفت إليها إضافات مهمة، أهمها أنَّني نظرت في أقوال الطاعنين، ولم أتحدث عنها بصفة عامة كما فعل الدارسون

---

[١٨]() مجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٣.

[١٩]() من المصنفات التي تولت الرد: كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ، والرد على الجهمية للدارمي ، والرد على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية .. وغيرها الكثير والكثير.

[٢٠]() سورة الحجر الآية (٩) .

السابقون، فإن الطُّعون إذا لم تكن محققة منسوبة لصاحبها، فإن هذا يجعلها أقرب إلى أن تكون نوعـًا من الافتراض الذي يرد عليه الدارس، وترى أن نسبة الطعن لصاحبه بالصيغة التي طعن بها تجعلنا أقدر على فهم أقواله وتفنيد أباطيله ودحضها.

هذا وإني لأسأل الله أن يوفقنا للذَّود عن دينه، ودحض أباطيل المبطلين وأوهام الواهمين، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي إنه نعم المولى ونعم النصير.

سورة البقرة - الموضع الأول

قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ .[٢١]﴾

أشار الله تعالى إلى القرآن في هذه الآية بإشارة البعيد: ذلك – علما بأنه سبحانه أشار إلى القرآن في آيات أخر بإشارة القريب حيث يقول : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ[٢٢] ﴾ وقوله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ [٢٣]﴾وقوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ[٢٤]﴾وقوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ[٢٥] ﴾ وغير ذلك من الآيات. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ نقول والله المستعان:

---

[٢١]() سورة البقرة الآيتان ١ ، ٢ .

[٢٢]() سورة الإسراء الآية ٩.

[٢٣]() سورة النمل الآية ٧٦.

[٢٤]() سورة الأنعام الآية ٩٢.

[٢٥]() سورة يوسف الآية ٣.

الوجه الأول : ما ذكره البلاغيون – والقرآن أصل في ذلك: أن وجه الإشارة إلى القرآن – بإشارة الحاضر القريب – لأن القرآن قريب حاضر في الأسماع والألسنة والقلوب ، وذلك أشبه بقوله تعالى في سورة البقرة ذاتها:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ[٢٦]﴾ . ووجه الإشارة إليه بإشارة البعيد : ذلك ؛ لبعد مكانته ومنزلته عن مشابهة كلام المخلوقين، وعن ما يزعمه الكفار من أن القرآن سحر، أو شعر، أو كهانة. أو أساطير الأولين يصدق ذلك قوله تعالى :﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ .[٢٧] ﴾

يقول الألوسي في تفسيره : (والإشارة بذلك للتعظيم وتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحقيقي كما في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ[٢٨]﴾ أو لأنه لما نزل عن حضرة الربوبية وصار بحضرتنا بَعُد ، ومن أعطى غيره شيئًا أو أوصله إليه أو لاحظ وصوله عبر عنه بذلك ؛ لأنه بانفصاله عنه بعيد أو في حكمه. وقيل : لا تعارض بين الإشارة بالقريب أو بالبعيد لأن صنعة البعيد والقريب قد يتعاقبان كقوله تعالى في قصة عيسى – عليه السلام –: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ[٢٩]﴾ ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ[٣٠]﴾ من آل عمران

---

[٢٦]() الآية ١٨٦.

[٢٧]() سورة الحاقة الآيات ٤١، ٤٢، ٤٣.

[٢٨]() الآية ٣٢.

[٢٩]() سورة آل عمران الآية ٥٨.

[٣٠]() سورة آل عمران الآية ٦٢.

وله نظائر في الكتاب الكريم) .[٣١]

الوجه الثاني : ما اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره من أن ذلك إشارة إلى ما تضمنه قوله : ﴿الٓمٓ﴾ وأنه أشار إليه إشارة البعيد؛ لأن الكلام المشار إليه منقض. ومعناه في الحقيقة القريب لقرب انقضائه، وضرب لذلك مثلاً بالرجل يحدث الرجل فيقول له مرة : والله إن ذلك لكما قلت ومرة يقول : والله إن هذا لكما قلت لك، فإشارة البعيد نظراً إلى أن الكلام مضى وانقضى، وإشارة القريب نظرًا إلى قرب انقضائه.[٣٢]

الوجه الثالث: أن العرب ربما أشارت إلى القريب بإشارة البعيد، فتكون الآية على أسلوب من أساليب اللغة العربية – نظير ذلك قول خفاف بن ندبة السلمي لما قتل مالك بن حرملة الفزاري يقول:

فإن تك خيلي قد أصيب حميمها فعمدًا على إنني تيممت مالكا
أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافًا إني أنا ذلكا

يعني أنا هذا . وهذا القول الأخير حكاه البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة قاله ابن كثير وعامة المفسرين على أن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾هو بمعنى هذا الكتاب[٣٣]. فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنزلة، لأن الشيء النفيس عزيز على أهله، أو لأنه لصدق معانيه ونفع إرشاده بعيد عمن يتناوله بافتراء القول ولا

---

[٣١]() روح المعاني ١ / ١٠٥.

[٣٢]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/ ٢٢٦.

[٣٣]() تفسير ابن كثير ١/ ٣٨.

يتعارض هذا مع قوله تعالى :﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ لأن ذلك إشارة إلى كتاب بين يدي أهله لترغيبهم في العكوف عليه والاتعاظ بأوامره ونواهيه .(٣٤)

الموضع الثاني

قوله تعالى :﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ(٣٥) ﴾ . هذه نكرة منفية ركبت مع لا . فبنيت على الفتح و﴿ لَا ﴾ هذه المفيدة للنفي هي التي لنفي الجنس، والنكرة إذا كانت كذلك تكون نصًّا في العموم كما تقرر في علم الأصول فقد قالوا: النكرة المنفية أو في سياق النفي تفيد العموم.

أما (لا) العاملة عمل ليس فهي ظاهرة في العموم – لا نص فيه؛ وعليه فالآية نص في نفي كل فرد من أفراد الريب عن هذا القرآن العظيم .

وقد جاء في آيات أخر ما يدل على وجود الريب فيه لبعض الناس كالكفار الشاكين وذلك فيما قصه القرآن عنهم في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ (٣٦) ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ (٣٧)﴾ . فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟

نقول : إن وجه الجمع بين هذه الآيات هو: أن القرآن بالغ من وضوح الدلالة وظهور المعجزة ما ينفي تطرق أدنى ريب فيه، فريب الكفار لم يكن يصدر منهم، لكون القرآن فيه شيء يحتمل الريب – لا – وإنما لعمى أبصارهم وبصائرهم عن

---

(٣٤) دفع إيهام الاضطراب ص ٦ بتصرف .

(٣٥) سورة البقرة الآية . ٢

(٣٦) سورة البقرة الآية . ٢٣

(٣٧) سورة التوبة الآية ٤٥ .

كنهه ومراميه، وقد ضرب القرآن مثلاً لهذه النوعية في سورة الرعد فقال :﴿ * أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ[٣٨]﴾ ففي ذلك تصريح بأن من لا يعلم الحق مع ظهوره – كالأعمى الذي لا يرى الشمس مع ظهورها، فعدم رؤيتها للأعمى لا يعني أنها غير طالعة، وفي هذا المعنى قول القائل :

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر[٣٩]

يقول ابن عطية: ﴿ لَارَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾: معناه لا شك فيه ولا ارتياب به . والمعنى أنه في ذاته لا ريب فيه ؛ وإن وقع ريب للكفار [٤٠] فمعنى نفي الريب عن الكتاب – أنه ليس مظنة للريب في ذاته لعلو منزلته وظهور معجزته، وليس معناه أنه لا يرتاب فيه أحد أصلا. وقال قوم :

﴿لَارَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ لفظه الخبر ومعناه النهي . وقال قوم: هو عموم يراد به الخصوص أي عند المؤمنين [٤١] ولكنهم ضعَّفوا الرأي الأخير هذا ـ لأن النفي عام، ولذلك كان ﴿ لَارَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ منصوباً على التبرئة .

الموضع الثالث

قوله تعالى :﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ[٤٢]﴾ . في هذه الآية تخصيص: هدى هذا الكتاب للمتقين دون غيرهم، وقد جاء في آيات أخرى ما يدل على أن هداه عام – لجميع

---

[٣٨]() سورة الرعد الآية ١٩ .

[٣٩]() دفع إيهام الاضطراب ص ٧ بتصرف .

[٤٠]() المحرر الوجيز ١/ ١٤٣.

[٤١]() المرجع السابق. دفع إيهام الاضطراب ص ٧.

[٤٢]() سورة البقرة الآية ٢.

الناس وشاهد ذلك قوله تعالى في ذات السورة :﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ[٤٣]﴾ فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟

نقول للهدى استعمالان - أحدهما عام - والثاني خاص، أما الهدى العام فمعناه توضيح طريق الحق ومعالمه. وإيضاح الحجة سواء سلكها الناس أم لا، من ذلك قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ [٤٤]﴾أي بينا لهم ذلك على لسان صالح - عليه السلام - مع أنهم لم يسلكوها - بدليل قوله تعالى :﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾. وأما الهدى الخاص، فهو تفضل من الله بالتوفيق، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ[٤٥] ﴾وقوله في ذات السورة : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ[٤٦]﴾. من هنا يعلم أن الهدى الخاص هو تفضل من الله تعالى على عبده يؤيد ذلك الحديث الصحيح : «ولن يدخل أحداً منكم عملُه الجنة» . قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله ؟ قال : «ولا أنا. إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة »[٤٧] والهدى العام هو إبانة معالم الشريعة، وتوضيح طريق الهداية للناس كافة، حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، وبذلك يرتفع الإشكال ومثل هذا يقال

---

[٤٣]() سورة البقرة الآية ١٨٥.

[٤٤]() سورة فصلت الآية ١٧.

[٤٥]() الآية ١٢٥.

[٤٦]() الآية ٩٠.

[٤٧]() رواه مسلم في صحيحه. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى ٣/ ٢١٧٠ ، ح ٧٥.

في قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴿٤٩﴾ ﴾. لأن الهدى المنفي عنه ق هو الهدى الخاص – لأن التوفيق بيد الله وحده. وشاهد ذلك قوله: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴿٥٠﴾ ﴾ وفي ذات الإشكال قوله تعالى :﴿ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴿٥١﴾ ﴾. فالهدى المثبت لرسول الله ق هو الهدى العام، وهو وضوح الحجة، وقد بينها ق. ومن أوضح الأدلة أن المراد في الآية الهدى الخاص قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴿٥٢﴾ ﴾

الموضع الرابع

قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾. وصورة إيهام هذا التعارض تتلخص في أن هذه الآية تدل بظاهرها على عدم إيمان الكفار، وقد جاءت آيات أخرى تدل على إيمان بعض الكفار بالله ورسله في وقت ما ؛ من ذلك قوله تعالى في سورة الأنفال :﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴿٥٤﴾ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ

٤٨() سورة القصص الآية ٥٦.

٤٩() سورة الشورى الآية ٥٢.

٥٠() سورة المائدة الآية ٤١.

٥١() سورة البقرة الآية ٢٧٢.

٥٢() سورة الشورى الآية ٥٢، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ٧-٨.

٥٣() سورة البقرة الآية ٦.

٥٤() سورة الأنفال الآية ٣٨

عَلَيْكُمْ[٥٥] ﴾ وقوله :﴿ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ[٥٦]﴾ - فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟

وجه الجمع بين هذه الآيات ظاهر؛ وهو أن آية البقرة من العام المخصوص؛ لأنها في خصوص الأشقياء الذين سبق في علم الله شقاوتهم - والعياذ بالله - وطبعوا على الكفر ؛ يشير إلى ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾[٥٧]﴾ ويدل على هذا التخصيص أيضا قوله تعالى :﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ[٥٨]﴾ . كما أن من سبقت سعادته في علم الله لا يكفر، لقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾[٥٩]﴾ ، وقد أجاب البعض بأن قوله: «لا يؤمنون» في آية البقرة - أي ما دام الطبع على قلوبهم وأسماعهم والغشاوة على أبصارهم فإذا أزال الله عنهم ذلك- آمنوا بفضله[٦٠] والعبرة بالخواتيم، ومن هذا القبيل - الغلام الذي قتله الخضر - لأنه طبع على الكفر، فأذن الله للخضر بقتله. فالإنسان لا يأمن مكر الله ولو لآخر لحظة، ونسأل الله حسن العاقبة. يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: ما خلاصته :

قد يكون المراد من قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ ﴾.. الآية . قوم معهودون

---

[٥٥]() سورة النساء الآية ٩٤.

[٥٦]() سورة العنكبوت الآية ٤٨.

[٥٧]() سورة يونس الآيتان ٩٥ ، ٩٦ .

[٥٨]() سورة البقرة الآية ٧.

[٥٩]() الآية ١٠١.

[٦٠]() دفع إيهام الاضطراب ص ٩.

كأبي جهل. والوليد بن المغيرة وأضرابهم من رءوس الشرك وزعماء العناد ـ دون من كان مشركـًا ثم آمن كأبي سفيان وغيره . أو يكون الموصول لتعريف الجنس المفيد للاستغراق على أن المراد من الكفر أبلغ أنواعه بقرينة لا يؤمنون، فيكون عامـًا خصص بالحس والمشاهدة لمن آمن منهم – أو عامـًا مراداً به الخصوص بالقرينة . وأيـًا كان – المعنى . فالمراد أن هناك فريقـًا خاصـًا من الكفار لا يرجى إيمانهم وهم من ختم وطبع على قلوبهم، وذلك لعدم اهتدائهم بالقرآن – لا – لنقص في دلالات القرآن على الهدى .[٦١]

الموضع الخامس

قوله تعالى :﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ [٦٢]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن هؤلاء مجبورون على الكفر؛ لأن مفاد الختم وجعل الغشاوة سلب قدرتهم على الإيمان . وقد أفادت آيات أخر – أن كفرهم واقع بمشيئتهم وإرادتهم من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ [٦٣]﴾ وقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ [٦٤]﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ [٦٥]﴾ وغير ذلك – ولإزالة إيهام هذا التعارض نقول : إن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم – عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر. وتكذيب الرسل – باختيارهم

---

[٦١]() ١/ ٢٤٨ بتصرف كثير.

[٦٢]() سورة البقرة الآية ٧ .

[٦٣]() سورة فصلت الآية ١٧.

[٦٤]() سورة البقرة الآية ١٧٥ .

[٦٥]() سورة الكهف الآية ٢٩.

ومشيئتهم فكان عقاب الله لهم بعدم التوفيق جزاء وفاقًا . كما بين في قوله : ﴿ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ [٦٦] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ [٦٧] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ .[٦٨] ﴾

وقوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ [٦٩] ﴾ . وقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ [٧٠] ﴾ وغير ذلك من الآيات[٧١]. والكل واقع بقدر الله – وأنه تعالى هدى ووفق البعض، وأضل وخذل البعض في التقدير والتكوين، فما كان من الختم ونحوه، باعتبار ما لهم من الميل والاكتساب والقدرة على الفعل والترك التي هي دون الخلق، فالله تعالى قدر الشرور وأوجد في الناس القدرة على فعلها، ولكنه نهاهم عنها؛ لأنه تعالى أوجد في الناس القدرة على تركها أيضا، فلا تعارض بين القدر والتكليف ولا منافاة بين الآيات . والله أعلم.

الموضع السادس

قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ [٧٢] ﴾. تدل هذه الآية بظاهرها على أن هذه النار كانت معروفة عندهم بهذه الصفات بدليل « أل ، التي هي للعهد وقد قال في سورة التحريم: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

---

[٦٦]() سورة النساء الآية ١٥٥.

[٦٧]() سورة المنافقون الآية ٣.

[٦٨]() سورة الأنعام الآية ١١٠.

[٦٩]() سورة الصف الآية ٥.

[٧٠]() سورة البقرة الآية ١٠.

[٧١]() دفع إيهام الاضطراب ص ٩، ١٠.

[٧٢]() سورة البقرة الآية ٢٤.

﴿ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ بتنكير نار وهذا يدل على أنها لم تكن معروفة عندهم بهذه الصفات فما وجه الجمع بين الآيتين؟

لم يكونوا يعلمون بصفات النار هذه، وأن الناس والحجارة وقودٌ لها ، فلما نزلت آية التحريم عرفوا منها ذلك ، ثم إنها لما كانت معروفة عندهم نزلت آية البقرة ، فعرفت فيها النار بـ « أل ، التي هي للعهد ؛ لأنها معهودة عندهم من آية التحريم، وذكر البيضاوي في تفسيره ما يفيد ذلك.[٧٣]

الموضع السابع

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ [٧٤] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء بدليل لفظة ثم التي هي للترتيب والانفصال . وكذلك آية ﴿حمٓ﴾ السجدة، فإنها تدل بظاهرها على أن خلق الأرض قبل خلق السماء ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ [٧٥] ﴾ الآية، مع أن آية النازعات ﴿ ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ [٧٦] ﴾ تدل على أن خلق السماء كان أولاً، ثم كان دحو الأرض بعد خلق السماء فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

للتوفيق بين الآيات المذكورة وإزالة ما يوهم التعارض نقول ما خلاصته :

---

[٧٣]() أنوار التنزيل ١/ ٣٦ ، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ص13 بتصرف .

[٧٤]() سورة البقرة الآية .٢٩

[٧٥]() سورة السجدة الآيات .١١ – ٩

[٧٦]() سورة النازعات الآيات .٣٠ – ٢٧

قال الشنقيطي: « إن ابن عباس سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النازعات فأجاب بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً قبل السماء غير مدحوة، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات في يومين - ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك. فأصل خلق الأرض قبل السماء ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء يدل لهذا قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ ولم يقل خلقها ثم فسر دحو الأرض بقوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ الآية. وهذا الجمع لا إشكال فيه، فهو ظاهر من خلال النصوص القرآنية، غير أنه يرد إشكال أن قوله: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يفيد أن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء. وقد أجاب الشنقيطي عن هذه الشبهة بأن المراد بخلق جميع ما في الأرض - هو الخلق اللغوي - الذي هو التقدير - لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمي التقدير خلقاً. يصدق هذا قوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ ثم قال: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ كما أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل ما فيها - كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله ؛ يدل لذلك إطلاق الخلق على الفرع ، وإن لم يكن بالفعل موجوداً في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ[٧٧] ﴾ أي خلقنا أباكم آدم ثم صورناه الذي هو أصلكم، كما أنه قد يكون معنى - بعد - في ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ قد يكون بمعنى- مع نظيره قوله: ﴿ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ[٧٨] ﴾ أي مع وعلى ذلك فلا إشكال ولا إيهام» .[٧٩]

---

[٧٧]() سورة الأعراف الآية ١١.

[٧٨]() سورة القلم الآية ١٣.

[٧٩]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٠ - ١٤ بتصرف.

ويلخص ابن عطية المسألة فيقول : وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ ثم هنا هي لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر في نفسه. واستوى: علا، دون تكييف ولا تحديد، كما قال الطبري، والتقدير علا أمره وقدرته وسلطانه[٨٠]. ويزيد ابن قتيبة المسألة إيضاحًا فيقول: «وليس على كتاب الله تحريف الجاهلين وغلط المتأولين ، وإنما كان يجد الطاعن متعلقـًا و مقالاً لو قال – والأرض بعد ذلك خلقها – أو ابتدأها – أو أنشأها – إنما قال – دحاها . فابتدأ الخلق للأرض على ما في الآي الأول لقوله: ﴿ ۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾ ثم خلق السماوات وكانت دخانـًا في يومين ثم دحا بعد ذلك الأرض أي بسطها - ومدها – وكانت ربوة مجتمعة وأرساها بالجبال وأنبت فيها النبات في يومين فتلك ستة أيام سواء للسائلين». وهو معنى قول ابن عباس.[٨١]

الموضع الثامن

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا[٨٢] ﴾. ووجه الإيهام هنا جاء من خطاب الجمع في قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ ﴾ والحال أنه أفرد لفظ كافر في قوله: ﴿ أَوَّلَ كَافِرِۭ ﴾.. فما وجه التوفيق؟.

نقول معنى قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ ، أي أول فريق كافر. فاللفظ

٨٠() تفسير المحرر الوجيز ١/ ٢٢٣.

٨١() تأويل مشكل القرآن ص ٦٧.

٨٢() سورة البقرة الآية ٤١.

مفرد والمراد الجمع فيجوز لغة مراعاة – كل منهما – وقد جمع اللغتين في قول القائل :

فإذا هم طعموا فَالأمُ طاعم وإذا هم جاعوا فشر جياع [٨٣]

أو هو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع.[٨٤]

ويقول ابن عاشور : « وإضافة أول إلى كافر بيانية تفيد معنى فريق، هو أول فرق الكافرين، وليس المقصود نهيهم عن أن يكونوا أول كافر، بل المقصود أن يكونوا أول المؤمنين ، يستفاد ذلك بطريق الكناية التلويحية لأن وصف أول أصله السابق غيره في عمل ما – والنهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين. وقوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عطف على النهي الذي قبله – وهو موجه إلى علماء بني إسرائيل وهم قدوة قومهم، فهم صدوا قومهم عن قبول الإسلام حفاظاً على رئاستهم في قومهم، لذا قال – عليه الصلاة والسلام – «الو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود» . [٨٥]

الموضع التاسع

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ [٨٦] ﴾ . ووجه الإيهام هنا أن هذه الآية تدل بظاهرها على أن الظن يكفي في أمور المعاد، وقد جاءت آيات أخر تدل على

---

[٨٣]() البيت في جامع البيان للطبري ١/ ٥٦٢، ولم ينسب لقائل.

[٨٤]() دفع إيهام الاضطراب ص .١٩

[٨٥]() رواه البخاري في صحيحه. كتاب مناقب الأنصار باب إتيان اليهود النبي ق حين قدم المدينة ٤/ ٢٦٩، وانظر: التحرير والتنوير ١/ ٤٦٠.

[٨٦]() سورة البقرة الآية ٤٦.

خلاف ذلك . وأن الظن لا يكفي في أمور اليقين كما هو مقرر في المسائل الاعتقادية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا[٨٧]﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ[٨٨]﴾. فما وجه الجمع بين هذه الآيات ؟.

لإزالة إيهام التعارض. نقول: إن الظن هنا بمعنى اليقين .. والعرب تطلق الظن وتريد اليقين – أو الشك – وإتيان الظن بمعنى اليقين كثير في القرآن الكريم – وفي كلام العرب. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ[٨٩]﴾، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً[٩٠]﴾ وقوله تعالى : ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا[٩١]﴾ وقوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ[٩٢]﴾. فالظن في هذه الآيات بمعنى اليقين.

وقول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج   سراتهم في الفارسي المسرد

أي أيقنوا[٩٣]. قال ابن عطية : ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ في هذه الآية، قال الجمهور: معناه يوقنون[٩٤] –والعلم والمعرفة واليقين مترادفة على معنى واحد وهو الاعتقاد

٨٧() سورة النجم الآية . ٢٨

٨٨() سورة البقرة الآية .٧٨

٨٩() سورة البقرة الآية ٤٨.

٩٠() سورة البقرة الآية .249

٩١() سورة الكهف الآية ٥٣.

٩٢() سورة الحاقة الآية ٢٠.

٩٣() دفع إيهام الاضطراب ص٢٠.

٩٤() المحرر الوجيز ١/ ٢٧٨.

الجازم المطابق عن دليل، وقد يطلق الظن على العلم - كما يطلق العلم على الظن، وهذا الاستعمال متعارف عند أهل اللغة والشرع. وعن مجاهد كل ظن في القرآن الكريم فهو يقين، ولعله يريد الظن المتعلق بالآخرة، وقال أيضا والظن في كلام العرب قاعدته الشك، مع ميل إلى أحد معتقديه، وقد يوقع الظن موقع اليقين في الأمور المتحققة - أي الثابتة عقلاً و شرعـًا .[٩٥]

الموضع العاشر

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ[٩٦] ﴾ جاء في دفع إيهام الاضطراب ما خلاصته : أن هذه الآية تدل بظاهرها على أن استحياء النساء كان من جملة العذاب الذي كان يسوم به فرعون بني إسرائيل رجالاً ونساء.. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن الإناث هبة من هبات الله تعالى لمن أعطاهن له. وذلك قوله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ [٩٧] ﴾. فبقاء بعض الأولاد على هذا خير من موتهم كلهم[٩٨]. ولإزالة هذا الإيهام.

نقول: إن بقاء الإناث في يد العدو، يفعل بهن ما يشاء من الإذلال وغيره، لهو من أشد ألوان العذاب على النفوس الكريمة التي لا تعرف الضيم، فموتهن أكرم لهن ولآبائهن من بقائهن تحت يد العدو على هذه الصورة، ولا ينافي هذا كونهن

---

[٩٥]() المرجع السابق .

[٩٦]() سورة البقرة الآية ٤٩.

[٩٧]() سورة الشورى الآية ٤٩.

[٩٨]() ص .٢١

هبة من الله تعالى. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن إهانة الأبناء يسيء إلى الآباء في حياتهم وبعد مماتهم، قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ[٩٩] ﴾. ومن هنا كانت بعض القبائل العربية في الجاهلية تئد بناتها خوفًا من العار أو خشية الإملاق، وسفه العرب بسبب هذا ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ .[١٠٠]﴾

وقال قائلهم :

إني وإن سيق إلى المهر

عبد وألفان وذود عشر أحب أصهاري إلى القبر.[١٠١]

قال ابن عطية : والصحيح من التأويل أن الأبناء هم الأطفال الذكور، والنساء هم الأطفال الإناث، وعبر عنهن باسم النساء بالمآل؛ ولأن استخدامهن وامتهانهن إنما يكون عندما يكن نساء، فعبر عن البنات بالنساء لما ذكر، واستحياؤهن ليس بعذاب ولكنه يؤول إلى العذاب – أي: إلى إرهاقهن في أعمال شاقة.[١٠٢]

الموضع الحادي عشر

قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ[١٠٣] ﴾. هذه الآية بظاهرها تفيد أن بني إسرائيل قتلوا بعض

---

[٩٩]() سورة النساء الآية ٩.

[١٠٠]() سورة الأنعام الآية ١٤٠.

[١٠١]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٢.

[١٠٢]() المحرر الوجيز ١/ ٢٨٦.

[١٠٣]() سورة البقرة الآية ٨٧.

الرسل، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ[١٠٤] ﴾. وقوله: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ[١٠٥] ﴾ وقد جاء في آيات أخرى أن الرسل منتصرون، نحو قوله : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ[١٠٦] ﴾ وقوله: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾[١٠٧] ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا[١٠٨] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

الرسل قسمان : قسم أمر بالقتال في سبيل الله، فقاتل وانتصر وتمت له الغلبة، كسيدنا محمد ق، وداود - عليه السلام -، قال الله تعالى: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ[١٠٩] ﴾ . وقسم أمر بالصبر والكف عن الناس، وهؤلاء هم الذين قتلوا ليرفع الله من درجاتهم. [١١٠]. وبذلك ينتفي إيهام التعارض .. وقوله ﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ بصيغة المضارع لاستحضار الصورة الفظيعة.

الموضع الثاني عشر

---

[١٠٤]() سورة آل عمران الآية .١٨٣

[١٠٥]() سورة المائدة الآية ٧٠.

[١٠٦]() سورة المجادلة الآية .٢١

[١٠٧]() سورة الصافات الآيات .١٧٣، ١٧٢، ١٧١

[١٠٨]() سورة غافر الآية ٥١

[١٠٩]() سورة البقرة الآية ٢٥١.

[١١٠]() دفع إيهام الاضطراب ص٢٤.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ [١١١] ﴾

الاستفهام في الآية إنكاري - ومعناه النفي - أي لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، وقد جاءت آيات أخر تفيد خلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا [١١٢] ﴾ وقوله: ﴿ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ [١١٣] ﴾ ، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا [١١٤] ﴾ . فكيف التوفيق بين هذه الآيات؟. للتوفيق بين الآيات المذكورة ، وإزالة ما يوهم التعارض نقول:

أولا : تخصيص كل موضع - بمعنى صلته . والمعنى لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبـًا، وإذا تخصصت الآيات بصلاتها زال الإيهام.

ثانيا : إن التخصيص بالنسبة إلى السبق - أي لمّا . لم يسبقهم أحد إلى هذا الظلم حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكـًا طريقهم.

ثالثا : ما قاله أبو حيان ما حاصله - أن نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة، فلم يكن أحدٌ ممن وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنهم يتساوون في الأظلمية، فيصير المعنى لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله ، وممن افترى على الله كذبة ، ومن كذب بآيات الله. ومن ثم فلا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، وأيضا

---

[١١١]() سورة البقرة الآية .١١٤

[١١٢]() سورة الأنعام الآية ٢١.

[١١٣]() سورة الزمر الآية ٣٢.

[١١٤]() سورة الكهف الآية ٥٧.

فلا دلالة على أن أحدهم أظلم من الآخر، فكلهم متساوون في الظلم كلٌ حسبما اقترف.[١١٥]

والآية كما يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: نازلة في مشركي العرب كما في رواية عطاء عن ابن عباس، وهي تشير إلى منع أهل مكة النبي ق والمسلمين من دخول مكة، كما جاء في حديث سعد بن معاذ حين دخل مكة خفية، وقال أبو جهل - ألا - أراك تطوف بالبيت آمنًا وقد آويتم الصباء. وتكرر ذلك عام الحديبية، ولما كان الاستفهام الإنكاري في معنى النفي صار الكلام من وقوع النكرة في سياق النفي، فلذلك فسر بمعنى لا أحد أظلم[١١٦]. وإنما كانوا أظلم الناس؛ لأنهم منعوا المسلمين دخول المسجد الحرام وهم أحق الناس به، وجمع المساجد للتعظيم - أو لتعدد أماكن العبادة - كمقام إبراهيم. والحطيم والخيف والمشعر الحرام ونحوها. والمراد من المنع - منع العبادة في أوقاتها الخاصة بها كالطواف والجماعة .

الموضع الثالث عشر

قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ[١١٧]﴾ وقوله تعالى:﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ[١١٨]﴾ ووجه الإيهام هنا أنه تعالى أفرد في هذه الآية المشرق والمغرب ..

---

[١١٥]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٥ بتصرف.

[١١٦]() 1/678.

[١١٧]() سورة البقرة الآية ١١٥.

[١١٨]() سورة الشعراء الآية . ٢٨٨

وثناهما في سورة الرحمن في قوله: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ[١١٩] ﴾.. وجمعهما في سورة المعارج.. في قوله: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ[١٢٠] ﴾ وجمع المشارق في سورة الصافات في قوله: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ[١٢١] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

للتوفيق وإزالة إيهام التعارض نقول: إن المراد من قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾.. هو جنس المشرق. وجنس المغرب فهو صادق على كل مشرق من مشارق الشمس، وعلى كل مغرب من مغاربها، عدد أيام السنة شروقًا وغروبًا .. كما ورد معنى هذا عن قتادة والسدي ومجاهد.[١٢٢]

وقال الإمام أحمد : (أما قوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار ، أقسم الله بمشرقه ومغربه.

وأما قوله : ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ فهذا أطول يوم في السنة، وأقصر يوم في السنة، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما، وأما قوله :﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ فهو مشارق السنة ، ومغاربها ..).[١٢٣]

يقول ابن عاشور : «الآية تسلية للمؤمنين على خروجهم من مكة. ونكاية للمشركين لابتهاجهم بخروج المؤمنين من مكة .. وانفرادهم بها.. فبين الله تعالى

---

[١١٩]() سورة الرحمن الآية ١٧.

[١٢٠]() سورة المعارج الآية ٤٠.

[١٢١]() سورة الصافات الآية ٥ .

[١٢٢]() الدر المنثور .٧٩ / ٧

[١٢٣]() الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص .٩١

أن الأرض كلها لله تعالى، وأنها ما تفاضل جهاتها إلا بكونها مظنة للتقرب إليه تعالى»[١٢٤] .. فالمراد من المشرق والمغرب في الآية تعميم جهات الأرض.. وتقديم الجار والمجرور للاختصاص.

الموضع الرابع عشر

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ [١٢٥]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الكفار لا عقول لهم أصلا؛ لأن قوله: ﴿ شَيْـًٔا ﴾ نكرة.. وهي في سياق النفي تفيد العموم كما هو معروف لغة .. وقد أفادت آيات أخرى أن الكفار لهم عقول يعقلون بها في الدنيا كقوله تعالي: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ [١٢٦]﴾ كما أنه في الواقع الذي نعيشه نرى أن لهم عقولاً في شتى نواحي الحياة .. في الاختراعات وكل الأعمال الدنيوية .. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

إن الكفار يعقلون كل شيء من أمور الدنيا .. يعقلون أمور الزراعة والصناعة ويخترعون الاختراعات ووصلوا القمر.. ولكنهم عمي بصيرة عن أمور الآخرة.. فلا يستعملون عقولهم فيما يتعلق بها .. وهم كما قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ [١٢٧] ﴾. والآية ذم للذين أبوا أن يتبعوا ما أنزل

---

[١٢٤]() التحرير والتنوير ١/ ٤٨٢ باختصار.

[١٢٥]() سورة البقرة الآية ١٧٠.

[١٢٦]() سورة العنكبوت الآية ٣٨.

[١٢٧]() سورة الروم الآية ٧، دفع إيهام الاضطراب ص ٣٢.

الله .[١٢٨]

الموضع الخامس عشر

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ[١٢٩] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الله لا يكلم الكفار يوم القيامة، لأن فعل ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ﴾ واقع في سياق النفي وذلك مفيد للعموم كما تقرر. وقد جاءت آيات أخر تفيد أن الله يكلم الكفار يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ[١٣٠] ﴾ ولإزالة إيهام التعارض بين الآيات نقول:

تتلخص الإجابة في أمرين: الأمر الأول : أن الكلام المنفي هو كلام الرضى من الله لهم، وأما الكلام الذي فيه توبيخ وتقريع فواقع؛ لأنه نوع من العذاب، وذلك غير داخل في قوله ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ. ﴾

الأمر الثاني : أن الذي يكلمهم الملائكة بإذن من الله وأمره[١٣١] والأول أصح.

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: قوله: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ نفي للكلام، والمراد به لازم معناه وهو الكناية عن الغضب، فالمراد نفي كلام التكريم فلا ينافي قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ[١٣٢] ﴾ فالآية كناية عن ذمهم. ويقول

---

[١٢٨]() روح المعاني للألوسي ٢/ ٤٠ .

[١٢٩]() سورة البقرة الآية .١٧٤

[١٣٠]() سورة المؤمنون الآيتان ١٠٨- ١٠٩.

[١٣١]() دفع إيهام الاضطراب ص ٣٤.

[١٣٢]() سورة الحجر الآية ٩٢، وانظر: تفسير التحرير والتنوير ٢/ ١٢٤.

الألوسي كلاماً قريباً من هذا، فيقول : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ﴾ أي كلام رحمة، كما قال الحسن فلا ينافي سؤاله سبحانه إياهم، أو لا يكلمهم أصلاً لمزيد غضبه -جل وعلا- والسؤال بواسطة الملائكة .[١٣٣]

الموضع السادس عشر

قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ[١٣٤] ﴾ . تدل هذه الآية بظاهرها - على أنه لا يكره أحد على الدخول في الإسلام.. ونظيرها قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ[١٣٥] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ .[١٣٦] ﴾

وقد جاءت آيات كثيرة تفيد إكراه الكفار على الدخول في الإسلام كقوله تعالى: ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ[١٣٧] ﴾ وقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ[١٣٨] ﴾ أي شرك. ويعاضد تلك الآيات وتفسيرها الحديث الصحيح «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .. » الحديث [١٣٩] فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

لإزالة ما يوهم التعارض، وللتوفيق بين الآيات نقول: لا تعارض بين هذه الآيات ولا غيرها، فقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ ﴾ في خصوص أهل الكتاب

---

[١٣٣]() روح المعاني ٢/ ٤٤.

[١٣٤]() سورة البقرة الآية ٢٥٦.

[١٣٥]() سورة يونس الآية ٩٩.

[١٣٦]() سورة الشورى الآية ٤٨.

[١٣٧]() سورة الفتح الآية ١٦.

[١٣٨]() سورة البقرة الآية ١٩٣.

[١٣٩]() صحيح مسلم، كتاب الإيمان . باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/ ٥١ ح٣٢.

على اختلاف عقائدهم، والمعنى أنهم قبل قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقاً وبعد قتالهم يخيرون بين الجزية والقتال والإسلام. وقد أخرج ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال : « نزلت – لا إكراه في الدين – في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف، يقال له : الحصين، كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلمًا فقال للنبي ق : ألا استكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك.[١٤٠]

ومما يدل على أن الآية في أهل الكتاب ما رواه أبو داود، وابن أبي حاتم، والنسائي، وابن حبان، وابن جرير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده – فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار .. فقالوا: لا ندع أبناءنا .. فأنزل الله: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ[١٤١] ﴾.. والمقلاة التي لا يعيش لها ولد .. وفي المثل أحر من دمع المقلاة. وأخرج ابن جرير عن الضحاك .. في قوله: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾. قال: أمر رسول الله ق أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل منهم الجزية فقال : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ .[١٤٢] ﴾

فهذه النقول وغيرها تدل على أن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ هي في خصوص أهل الكتاب المعطين للجزية ومن في حكمهم .. ولا يرد على ذلك أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن التخصيص فيها عرف بالنقل عن علماء التفسير

---

[١٤٠]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٤٠٩.

[١٤١]() المرجع السابق، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٠.

[١٤٢]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٤١٣.

لا بمطلق خصوص السبب ، ومما يدل على الخصوص أنه ثبت في الصحيح «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل» .[١٤٣]

أمر ثان : أنها منسوخة بآيات القتال كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ[١٤٤] ﴾ ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة وسورة براءة من آخر ما نزل بها .. والقول بالنسخ مروي عن زيد بن أسلم وغيره[١٤٥].. وعلى كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول سورة البقرة .. والمتأخر أولى من المتقدم.[١٤٦]

وأحسن الأقوال : أن الإسلام لا يكره الأفراد على اعتناق عقيدته ، وإن كان يحارب أنظمة الكفر ليكسر الحواجز، ويذهب الموانع عن الأفراد، ثم يخيّر كل فرد وما يختار من العقائد، فإن شاء آمن وأسلم سقطت عنه الجزية، وإن بقي على عقيدته دفع الجزية عن يد وهو صاغر .[١٤٧]

الموضع السابع عشر

قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ[١٤٨] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها أن الإنسان محاسب على خواطر نفسه ومؤاخذ بها.. مع

---

[١٤٣]() صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل ٤/ ٢٠.

[١٤٤]() سورة التوبة الآية ٥ .

[١٤٥]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥/ ٤١٤.

[١٤٦]() دفع إيهام الاضطراب ص ٤٤ - ٤٦ بتصرف .

[١٤٧]() في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٩٣-٢٩٥ بتصرف.

[١٤٨]() سورة البقرة الآية ٢٨٤.

أنه لا قدرة له على دفعها.. وقد جاءت آيات أخرى تفيد أن الإنسان لا يكلف إلا بما يطيق، كقوله تعالى في ذات السورة: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿١٤٩﴾ ﴾.. الآية، وقد نزلت هذه الآية عندما فزع أصحاب رسول الله ق عند نزول الآية الأولى.. وقالوا: كيف نتحكم في خواطر أنفسنا فنزلت آية: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿١٥٠﴾ ﴾.. وقال عليه الصلاة والسلام ، « إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت بها أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»[١٥١].. ولقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴿١٥٢﴾ ﴾.. والآية الأولى على ذلك منسوخة ، فقد أخرج البخاري عن مروان الأصغر عن رجل من أصحاب رسول الله ق ، وهو ابن عمر أنها قد نسخت ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قد نسختها الآية التي بعدها[١٥٣] .. وهناك من يقول: إن الآية محكمة.. والمراد من النسخ البيان وإيضاح المراد – كأنه قيل: كيف يحمل ما في أنفسكم على ما يعم الوساوس الضرورية .. وهو يستلزم التكليف بما ليس في الوسع، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها[١٥٤]. والراجح، أن الآية الأولى منسوخة على ما جاء في حديث أخرجه مسلم وأحمد عن أبي هريرة أنه لما نزلت ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ جثى أصحاب رسول الله ق على الركب وقالوا يا

---

[١٤٩]() سورة البقرة الآية : ٢٨٦.

[١٥٠]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٦/ ١١١ .

[١٥١]() صحيح البخارى، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والمكره والسكران والمجنون .

[١٥٢]() سورة البقرة الآية : ٢٢٥.

[١٥٣]() صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن . باب ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ..﴾ الآية، ٥/ ١٦٥.

[١٥٤]() روح المعاني للألوسي ٣/ ٦٤ – ٦٥ بتصرف.

رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة، والصوم، والجهاد، والصدقة . وقد أنزل الله تعالى عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال رسول الله ق : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ فلما اقترأها القوم وزلت بها ألسنتهم أنزل الله تعالى في إثرها ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ ﴾ .. الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى ، فأنزل سبحانه ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ إلخ[١٥٥] وصح مثل ذلك عن علي – كرم الله تعالى وجهه – وابن عباس، وابن مسعود، وعائشة – رضي الله عنهم ». [١٥٦]

سورة آل عمران - الموضع الثامن عشر

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ[١٥٧] ﴾ . أفادت هذه الآية الكريمة بظاهرها أن القرآن الكريم منه المحكم، ومنه المتشابه .. علما بأنه جاءت آيات أخرى تفيد أنه كله محكم.. وأنه كله متشابه وذلك في قوله: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ[١٥٨] ﴾ فهذه الآية تدل على أنه كله محكم، وجاء ما يدل على أنه كله متشابه في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ . [١٥٩] ﴾

---

[١٥٥] () صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان انه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ١/ ١١٥.

[١٥٦] () الدر المنثور للسيوطي ٢/ ١٢٧-١٢٨-١٢٩.

[١٥٧] () سورة آل عمران الآية ٧.

[١٥٨] () سورة هود الآية ١.

[١٥٩] () سورة الزمر الآية ٢٣.

فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ لإزالة هذا الإيهام .. وللتوفيق بين الآيات.

نقول: إن معنى كونه محكمًا، أن أي القرآن - في غاية الإحكام والإتقان والسبك في ألفاظه ومعانيه وإعجازه، فأخباره صدق، وأحكامه غاية في العدل، ليس بينها متناقضات ولا خلل، لا في الألفاظ ولا في المعاني، لقوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (١٦٠) ﴾ ولقوله: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ (١٦١) ﴾. ومعنى كونه متشابهًا. أي أن آياته يشبه بعضها بعضا في الحسن والصدق والجمال والكمال والإعجاز والسلامة من جميع العيوب قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا (١٦٢) ﴾ وقال: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا (١٦٣) ﴾ ومعنى كونه بعضه محكم وبعضه متشابه .. أن المحكم كله واضح المعنى لكل الناس، العالم وغير العالم، بل ربما غير المسلم كقوله: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ (١٦٤) ﴾ وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (١٦٥)، والمتشابه ما خفي علمه على غير الراسخين في العلم. بناء على أن الواو عاطفة، أو هو ما استأثر الله تعالى بعلمه، كالحروف المقطعة في أول السور، وذلك بناء على أن الواو في قوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ (١٦٦) ﴾ استئنافية لا عاطفة.(١٦٧)

---

(١٦٠) سورة فصلت الآية ٤٢.

(١٦١) سورة النمل الآية . ٨٨

(١٦٢) سورة النساء الآية ٨٧.

(١٦٣) سورة النساء الآية .١٢٢

(١٦٤) سورة النساء الآية ٤٣.

(١٦٥) سورة النساء الآية ٣٦.

(١٦٦) سورة آل عمران الآية ٧.

(١٦٧) دفع إيهام الاضطراب ص ٤٧ - ٤٨.

وخلاصة القول: أنه لا تعارض إطلاقا بين كون القرآن كله محكمـًا. أو كله متشابها أو بعضه محكمًا وبعضه متشابهـًا.

ولابن قتيبة كلام حول المتشابه نذكر خلاصته لتعم الفائدة، وهو أن المراد من إنزال المتشابه أن القرآن نزل بألفاظ العرب، ومعانيها ومذاهبها، في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني، حتى لا يظهر عليه – أي يطلع عليه ويعرفه إلا اللقن، أي سريع الفهم – وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خفي. ودلالة ذلك قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ[١٦٨]﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا[١٦٩]﴾، فلو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا، حتى يستوي في معرفة الغرض منه العالم والجاهل؛ لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر، وتعطل الجهاد، ومع الحاجة تقع الفكرة، والحاجة تفتق الحيلة كما يقولون. ومع الكفاية يقع العجز والبلادة .. وقالوا : عيب الغنى أنه يورث البله .. وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة. وكل علم من العلوم منه الجلي.. ومنه الخفي، ليرتقي المتعلم رتبة بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ويدرك أقصاه . ولتكون للعالم فضيلة النظر.. وحسن الاستخراج ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية .. فلو كان كل علم شيئـًا واحداً، لم يكن عالم ولا متعلم. ولا خفي ولا جلي ؛ لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها.. فلا يعرف الحلو إلا بالمر.. والباطن إلا بالظاهر . والعافية إلا بالمرض.. وهكذا. ومن هذا قول

---

[١٦٨]() سورة الزمر الآية . ٢٨

[١٦٩]() سورة يوسف الآية ١٤٩.

الرسول ق: « تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة»[١٧٠] ، وقوله : «والكاسيات العاريات لا يدخلن الجنة »[١٧١] . ومن هذا كله نعلم أنه لا تعارض بين الآيات سالفة الذكر بين المحكم والمتشابه .. والقرآن منزه عن التعارض بين آياته، والمتشابه كان يعلمه رسول الله ق .. ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١٧٢] وإذا جاز ذلك .. جاز أن يعلمه الربانيون من صحابته.. فقد علم ق التفسير.. ودعا لابن عباس بقوله: « اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل» [١٧٣]، وروي عن ابن عباس قوله : «كل القرآن أعلمه إلا أربعا ـ غسلين – وحنانا ـ والأواه – والرقيم [١٧٤]، ثم علم بعد ذلك ، وأصل التشابه ، أن يشبه اللفظ في الظاهر.. والمعنيان مختلفان. قال تعالى في وصف ثمر الجنة ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾[١٧٥] ، أي متفق المناظر مختلف الطعوم، وقوله تعالى: ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[١٧٦] أي يشبه بعضها بعضـًا في القسوة والكفر ..[١٧٧]

وخلاصة القول : أنه لا تعارض بين المحكم والمتشابه، وقد ذهب الأحناف كما يقول الألوسي، إلى أن المحكم الواضح الدلالة، الظاهر الذي لا يحتمل النسخ، والمتشابه الخفي، الذي لا يدرك معناه عقلاً ولا نقلاً .. وهو ما استأثر الله

---

[١٧٠]() صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ق »الناس كإبل مائة« ٢/ ١٩٧٣ ح٢٥٤٧.

[١٧١]() صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب النار يدخلها الجبارون ٣/ ٢١٩٢ ح ٢١٢٨.

[١٧٢]() سورة آل عمران الآية ٧.

[١٧٣]() رواه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٧ ح ٢٣٩٧ ، وإسناده صحيح ، والحديث في مجمع الزوائد ٩/ ٢٦٧.

[١٧٤]() تأويل مشكل القرآن ص . ٩٩

[١٧٥]() سورة البقرة الآية ٢٥.

[١٧٦]() سورة البقرة الآية .١١٨

[١٧٧]() تأويل مشكل القرآن ص ١٠١ – ٨٦ بتصرف.

تعالى بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل السور[١٧٨]. وعلى ذلك أيضا يمتنع التعارض بين الآيات.

الموضع التاسع عشر

قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ[١٧٩] ﴾. تفيد هذه الآية الكريمة بظاهرها وفاة عيسى ، عليه السلام، .. وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ[١٨٠]﴾ ، وقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ[١٨١]﴾ ، وقد فسر ابن عباس وأبو هريرة والعلماء من بعدهم قوله : ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ ، أي قبل موت عيسى عليه السلام فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ يفيد يقينًا الوفاة ، لكن لا يفيد تعيين الوقت، أو أن ذلك اليوم قد مضى وعطف قوله: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ على قوله: ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ لا دليل فيه على الوفاة، لقول جمهور العلماء وأهل اللسان العربي: إن الواو – لا تقتضي ترتيبًا ولا جمعًا – وإنما هي تفيد مطلق التشريك خلافًا لمن قال: إنها تفيد الترتيب .. وقول رسول الله ق : « أبدأ بما بدأ الله به»[١٨٢] يعني الصفا، لا دليل فيه على اقتضائها الترتيب، وبيان ذلك ما قاله الفهري، وذكره عنه

---

[١٧٨]() روح المعاني للالوسي ٣/ ٨٢.

[١٧٩]() سورة آل عمران الآية ٥٥.

[١٨٠]() سورة النساء الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

[١٨١]() سورة النساء الآية ١٥٩، تفسير ابن كثير ١/ ٦١٤.

[١٨٢]() صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ١/ ٨٨٨ ح ١٢١٨.

صاحب الضياء اللامع ، وهو أنها كما أنها، أي الواو لا تقتضي الترتيب ولا المعية.. فكذلك لا تقتضي المنع منهما، فقد يكون العطف بها مع قصد الاهتمام بالأول، كقوله: ﴿ ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ(١٨٣) ﴾. وبدليل الحديث: « أبدأ بما بدأ الله به» ... وقد يراد بها المعية، كقوله تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ(١٨٤) ﴾، وقوله: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ(١٨٥) ﴾ .. ولكن لا تحمل على الترتيب.. ولا على المعية .. إلا بدليل منفصل.

ثانيـًا : قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي منيمك، ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أي في تلك النومة، وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم، في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ(١٨٦) ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ(١٨٧) ﴾ وذكر ابن كثير ذلك مستدلا بهاتين الآيتين .. وبقوله ق : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا » .(١٨٨)

ثالثـًا : قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ اسم فاعل توفاه إذا قبضه وحازه إليه، ومن ذلك قولهم: توفى فلان دينه، إذا قبضه إليه، وعلى ذلك فيكون معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ ﴾ على

١٨٣() سورة البقرة الآية ١٥٨.

١٨٤() سورة العنكبوت الآية ١٥.

١٨٥() سورة القيامة الآية ٩.

١٨٦() سورة الأنعام الآية ٦٠.

١٨٧() سورة الزمر الآية ٤٢.

١٨٨() صحيح البخارى، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٣/ ٢٠٨٣.

هذا؛ قابضك منهم إليَّ حيًّا. وقد اختار ابن جرير هذا القول .[١٨٩]

ويلخص الألوسي المسألة قائلاً: أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذا من المقدم والمؤخر، أي رافعك إليَّ ومتوفيك، وهذا التأويل اقتضاه مخالفة ظاهر الآية للمشهور، المصرح به في آية النساء، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : «إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة» . أو أن الكلام كناية عن عصمته من الأعداء، وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام ، أو أن المراد آخذك بروحك وببدنك وافيـًا، فيكون قوله: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ كالمفسر لما قبله[١٩٠]ويقول القرطبي: إن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم، وهو اختيار الطبري والرواية الصحيحة عن ابن عباس[١٩١].. وعلى كل تأويل.. فلا منافاة بين الآيات.

الموضع العشرون

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ[١٩٢] ﴾ . أفادت هذه الآية الكريمة .. وأمثالها في القرآن الكريم أن إبراهيم عليه السلام لم يكن مشركًا يومـًا ما، لأن نفي الكون الماضي في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يدل على استغراق النفي لجميع الزمن الماضي، وقد جاء في موضع آخر ما يوهم خلاف ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً

---

[١٨٩]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٤٥٥، ودفع إيهام الاضطراب ص ٥١ – ٥٣.

[١٩٠]() روح المعاني ٣/ ١٧٩.

[١٩١]() الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٠.

[١٩٢]() سورة آل عمران الآية ٦٧.

قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ[193] ﴾ وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗا[194] ﴾ . ومن ظن ربوبية غير الله فقد أشرك بالله .. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

لإزالة ما يوهم التعارض، وللتوفيق بين هذه الآيات نقول : إن إبراهيم في هذا كان مناظرًا لقومه، لا ناظرًا، ومقصوده جدلي بحت؛ ليفحم بذلك خصمه، فقد جاراهم بحسب زعمهم، فلو أنكر عليهم من أول الأمر ما يعتقدون لكذبوه، وقوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ[195] ﴾ تفيد أنه عليه السلام كان مناظرًا . أما قوله: ﴿ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ[196] ﴾ فذلك من باب التواضع واللجوء إلى الله.

كقوله: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ[197] ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ[198] ﴾ . كما أن القرآن شهد ببراءة إبراهيم عليه السلام، حيث يقول في آخر الآيات ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ[199] ﴾ . ولم يظن إبراهيم أبدًا ربوبية الكواكب؛ لأن نصوص القرآن تبطل هذا الظن لقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ[200] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ

---

[193]() سورة الأنعام الآية ٧٨.

[194]() سورة الأنعام الآية ٧٦.

[195]() سورة الأنعام الآية ٨٠.

[196]() سورة الأنعام الآية ٧٧.

[197]() سورة إبراهيم الآية ٣٥.

[198]() سورة البقرة الآية ١٢٨.

[199]() سورة الأنعام الآية ٧٨.

[200]() سورة آل عمران الآية ٦٧.

﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ [٢٠١]﴾ وقد رد ابن كثير على ابن جرير الطبري، ما ذكره عن هذه الآيات وأمثالها[٢٠٢].. والأحاديث دالة على مقتضى القول الصحيح كحديث « كل مولود يولد على الفطرة .. »[٢٠٣] كما فندت الآيات مزاعم العرب واليهود. أنهم على ملة إبراهيم[٢٠٤].. وبينت أن إبراهيم ما كان يهوديًا، ولا نصرانيًا، ولا مشركًا، وإنما كان حنيفا مسلمًا. وكيف تكون اليهودية والنصرانية من الحنيفية؟ مع خلوها عن فريضة الحج، وقد فرضه الإسلام على المستطيع، والإسلام فقط هو الحنيفية، فإبراهيم كان مسلما وقوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ [٢٠٥]﴾ يدل على أن إبراهيم جاء بالتوحيد، وأعلنه إعلانًا، لم يترك للشرك مسلكًا إلى نفوس الغافلين، وأقام الكعبة أول بيت وضع للناس، وأعلن تمام العبودية لله بقوله: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى ﴾ [٢٠٦] وأخلص العمل والقول الله، فقال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا [٢٠٧]﴾ فلم يكن هناك تعارض قط بين الآيات .

الموضع الحادي والعشرون

---

[٢٠١]() سورة النحل الآية .١٢٣

[٢٠٢]() تفسير ابن كثير ٢/ ١٦٣.

[٢٠٣]() صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ٢/ ١٠٤.

[٢٠٤]() دفع إيهام الاضطراب ص ٥٣- ٥٨ بتصرف.

[٢٠٥]() سورة الأنعام الآية .٧٩

[٢٠٦]() سورة الأنعام الآية .٨٠

[٢٠٧]() سورة الأنعام الآية ٨١.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ[208]﴾ . أفادت هذه الآية بظاهرها أن المرتدين بعد إيمانهم المزدادين كفراً؛ لن تقبل توبتهم إذا تابوا، لأنه عبر ب «لن ، الدالة على نفي الفعل في المستقبل.. وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن الله يقبل التوبة من عباده؛ إذا تابوا قبل حضور الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها، من هذه الآيات قوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ[209] ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ[210]﴾ وغير ذلك. وصرحت الآيات بدخول المرتدين في قبول التوبة في قوله: ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩[211]﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول ما خلاصته : المراد من قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ هم اليهود، كفروا برسول الله ق، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأكثر، والأقرب إلى الصواب أن قوله: ﴿ لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ يعني إذا تابوا عند حضور الموت .. بعد إصرارهم على الكفر.. حتى حضور الموت لقوله: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ

[208]() سورة آل عمران الآية . ٩٠

[209]() سورة الأنفال الآية .٣٨

[210]() سورة الشورى الآية ٢٥.

[211]() سورة آل عمران الآيات ٨٦ . ٨٩ –

كُفَّارٌ[٢١٢] ﴾ فجعل التائب عند حضور الموت والميت على كفره سواء .. وقوله في فرعون ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ[٢١٣] ﴾ وقوله: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ[٢١٤] ﴾. فالإطلاق الذي في هذه الآية - آية آل عمران - يقيد بقيد تأخير التوبة إلى حضور الموت، وذلك لحمل المطلق على المقيد، كما هو مقرر في علم الأصول.

وخلاصة القول: أن التوبة تقبل إذا أخلص فيها صاحبها، وكانت قبل الموت وقبل آيات قيام الساعة، وأن الله يقبل توبة من تكرر منه الكفر إذا أخلص في الإنابة إلى الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا[٢١٥] ﴾ . والمنافقون داخلون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا[٢١٦] ﴾ فلا منافاة بين الآيات، وأن آية آل عمران لا تتعارض مع غيرها .. وهي خاصة بمن مات على الكفر أو تاب عند الغرغرة .

الموضع الثاني والعشرون

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ[٢١٧] ﴾ تدل هذه الآية على التشديد البالغ في تقوى الله حق تقاته، وقد جاءت آية أخرى

---

[٢١٢]() سورة النساء الآية ١٨.

[٢١٣]() سورة يونس الآية ٩١.

[٢١٤]() سورة غافر الآية ٨٥ .

[٢١٥]() سورة النساء الآيتان ١٤٥، ١٤٦.

[٢١٦]() سورة النساء الآية ١٣٧، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص٥٧-٦٦ بتصرف.

[٢١٧]() سورة آل عمران الآية ١٠٢.

تدل على عدم التشديد، وهي قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ[٢١٨] ﴾ . وللتوفيق بين الآيات نقول : إن آية ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ و ناسخة لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾، وقد ذهب إلى هذا القول سعيد بن جبير وغيره، كما قال ابن كثير[٢١٩]، كما يمكن القول بأن الآية الثانية مبينة للمقصود من الآية الأولى[٢٢٠]. ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: «لا نسخ بين الآيتين؛ لأن الاستطاعة هي القدرة والتقوى مقدورة للناس. فلا تعارض بين الآيتين ولا نسخ، والأرجح أن الآية الثانية ناسخة للأولى، لتفسير ابن مسعود لها أن يطاع فلا يعصى. ويشكر فلا يكفر. ويذكر فلا ينسى ورووا أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من يقوى لهذا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ فنسخ هذه بناء على أن الأمر في الآيتين للوجوب وعلى اختلاف المراد من التقويين» .[٢٢١]

الموضع الثالث والعشرون

قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا[٢٢٢] ﴾ . تدل هذه الآية على أن الأنصار ما كان بينهم وبين النار إلا أن يموتوا – مع أنهم كانوا أهل فترة، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا[٢٢٣] ﴾ .. وقوله ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

---

[٢١٨]() سورة التغابن الآية ١٦.

[٢١٩]() تفسير ابن كثير ١/ ٤٠٤.

[٢٢٠]() دفع إيهام الاضطراب ص ٦٦.

[٢٢١]() 4 /30.

[٢٢٢]() سورة آل عمران الآية ١٠٣.

[٢٢٣]() سورة الإسراء الآية ١٥.

﴿ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ[٢٢٤] ﴾ وقد بين الله تعالى هذه الحجة بقوله في سورة طه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ[٢٢٥] ﴾ أي هلا أرسلت إلينا رسولاً لنعمل بكتابك وغير ذلك من الآيات .. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول : بعد بعثة رسولنا قلم يبق هناك عذر لأحد علم ببعثته، فكل من لم يؤمن به ق، وقد علم ببعثته، ومات على ذلك فليس له إلا النار، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ[٢٢٦] ﴾ وما يجاب به من البعض من أنه عندهم بقية من إنذار الرسل الماضين فذلك باطل، لأن نصوص القرآن مصرحة بأنهم لم يأتهم نذير كقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ[٢٢٧] ﴾. وغير ذلك من الآيات، ومن ثم فلا تعارض ولا إيهام بين الآيات. والآية امتنان على الأنصار بالإيمان بعد الكفر، لعلمهم بدخول الكفرة النار ، وقد علموا أنهم كانوا على شفاها بدليل الضمير في منها ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾ أي من النار.

الموضع الرابع والعشرون

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ[٢٢٨] ﴾. وقد جاء في آية أخرى وصفه

---

[٢٢٤]() سورة النساء الآية ١٦٥.

[٢٢٥]() الآية . ١٣٤

[٢٢٦]() سورة هود الآية ١٧.

[٢٢٧]() سورة يس الآية ٦، انظر دفع إيهام الاضطراب ص٦٦.

[٢٢٨]() سورة آل عمران الآية .١٢٣

تعالى لهم بالعزة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ [٢٢٩] ﴾. والعزة والذلة متنافيان فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: وصفهم بالعزة يرجع لكثرتهم عدداً وعدةً، كما حدث في غزوة بني المصطلق .. والعرب يفخرون بذلك، وهذا ما جعل أحد الصحابة يقول قبيل غزوة حنين : لن نهزم اليوم من قلة[٢٣٠]. وكان عددهم أكثر من اثني عشر ألفـًا، ووصفهم بالذلة يرجع لقلتهم عدداً وعدةً، كما كانوا في غزوة بدر .. رغم انتصارهم فيها، ويمكن الجمع بينهما باعتبارين، باعتبار حال المسلمين تكون الذلة، وباعتبار النصر لهم تكون العزة ، يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ [٢٣١] ﴾ فالذلة باعتبار، والنصر باعتبار والجهة منفكة[٢٣٢]. يقول أبو السعود في تفسيره: «وقال: ﴿أَذِلَّةٌ﴾ جمع ذليل، وإنما جمع جمع قلة إيذانـًا باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة، حيث كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان ضعف حالهم في الغاية»[٢٣٣]. ويقول الألوسي : « وأذلة جمع قلة لذليل، واختير على ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم، والمراد بها عدم العدة لا الذل المعروف، فلا يشكل دخول النبي قفي هذا الخطاب، ولا مانع من المعنى المعروف على أن المراد وأنتم أذلة في أعين غيركم، وإن كنتم أعزة في أنفسكم»[٢٣٤]. وربما يتمشى مع هذا المعنى قوله تعالى:

---

[٢٢٩]() سورة المنافقون الآية ٨.

[٢٣٠]() الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٥٨.

[٢٣١]() سورة الأنفال الآية: ٢٦.

[٢٣٢]() دفع إيهام الاضطراب ص ٦٨.

[٢٣٣]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢/ ٧٩.

[٢٣٤]() روح المعاني ٤/ ٤٣.

﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ . [٢٣٥]﴾

الموضع الخامس والعشرون

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ [٢٣٦]﴾ . تدل هذه الآية بظاهرها على أن الشهداء أحياء غير أموات .. وقد قال في آية أخرى لرسول الله وهو أفضل من كل الشهداء ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ [٢٣٧]﴾ وذلك يوهم أن الشهداء أعلى درجة من النبي ق، ودفعـًا لهذا الإيهام نقول : الشهداء يموتون الموتة الدنيوية، فتورث أموالهم وتنكح نساؤهم، وهذه الموتة يموتها رسول الله ق. وهي التي أخبر بها ، والشهداء بموتهم يكون لا تعلق لهم بالدنيا، وقد ثبت أن أرواحهم تكون في جوف طيور خضر تسرح في الجنة، حيث شاءت، وهذه منزلة [٢٣٨]، غير أن منزلة رسول الله ق فوق ذلك كله، فقد ثبت أنه يَرُدّ السلام على من سلم عليه ، وهذه ليست لأحد غيره، وكلا الحالتين حياة برزخية ليست معقولة لأهل الدنيا – أما في الشهداء فقد قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ وفسرها – عليه الصلاة والسلام بأن أرواحهم تجعل في حواصل طيور خضر ترتع في الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فهم يتنعمون بذلك[٢٣٩].. وقد ثبت أن روح

---

[٢٣٥]() سورة الأنفال الآية ٤٤ .

[٢٣٦]() سورة آل عمران الآية ١٥٤.

[٢٣٧]() سورة الزمر الآية ٣٠.

[٢٣٨]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة... ٢/ ١٥٠٢ ح١٨٨٧.

[٢٣٩]() المرجع السابق.

رسول الله ق في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى، فوق أرواح الشهداء[٢٤٠]، تتعلق بهذا البدن الشريف الذي لا تأكله الأرض، يعلم الله حقيقته، ولا يعلمها الخلق، كما قال في جنس ذلك: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ [٢٤١]﴾. قال العلامة ابن القيم في كتابه الروح ما خلاصته: «ومعلوم بالضرورة أن جسده ق في الأرض طري مطرا، وقد سأله الصحابة: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء [٢٤٢] ولم يكن جسده في ضريح لما أجاب بهذا الجواب، وقد صح أنه رأى موسى يصلي في قبره ليلة الإسراء . ورآه في السماء السادسة [٢٤٣] فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه. وتعلق به بحيث يصلي في قبره ، ويرد سلام من يسلم عليه وهي في الرفيق الأعلى، ولا تنافي بين الأمرين، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان[٢٤٤]. وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين روح النبي وأرواح الأنبياء .

سورة النساء - الموضع السادس والعشرون

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ [٢٤٥]﴾. تدل هذه الآية بظاهرها على أن العدل بين الزوجات ممكن.. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنه غير ممكن، وهي قوله تعالى : ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ﴾

---

[٢٤٠]() الروح لابن قيم الجوزية ١/ ٢٦٧.

[٢٤١]() دفع إيهام الاضطراب ص ٣٠-٢٩ بتصرف.

[٢٤٢]() المرجع السابق .

[٢٤٣]() المرجع السابق .

[٢٤٤]() الروح لابن قيم الجوزية ١/ ٢٦٦-٢٦٧ بتصرف.

[٢٤٥]() سورة النساء الآية ٣.

[٢٤٦]. ولإزالة إيهام التعارض بين الآيتين والتوفيق بينهما.

نقول: إن العدل بين الزوجات الذي ذكر الله أنه ممكن «هو العدل في إيفاء الحقوق الشرعية في المأكل والملبس والمبيت، وما يترتب على ذلك من مساواة، فذلك ممكن بلا شك ، أما العدل الذي ذكر الله أنه غير ممكن فهو المساواة في الميل القلبي، فذلك ليس في مقدور الإنسان. فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.. وقد فسر الحافظ ابن كثير ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ بالميل القلبي الخارج عن إرادة الإنسان[٢٤٧].. وعندئذ يكفيه العدل في الحقوق الشرعية. وروى ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة أن آية ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ ﴾ نزلت في عائشة رضي الله عنها ؛ لأن النبي ق كان يميل إليها بالطبع أكثر من غيرها[٢٤٨]. وروى الإمام أحمد وأهل السنن عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله يقسم بين النساء فيعدل ثم يقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» ، يعني القلب[٢٤٩]. ويقول أبو السعود: ومحال أن تقدروا على أن تعدلوا بينهن، بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشئون ألبتة، ولو حرصتم على إقامة العدل، ولو بالغتم في ذلك : ﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ أي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم .[٢٥٠]

الموضع السابع والعشرون

---

[٢٤٦]() سورة النساء الآية ١٢٩.

[٢٤٧]() تفسير ابن كثير ١/ ٦٠٠.

[٢٤٨]() المرجع السابق .

[٢٤٩]() المرجع السابق، ودفع إيهام الاضطراب ص ٧١ – ٧٢.

[٢٥٠]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .240/ ٢

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ[٢٥١] ﴾. تدل هذه الآية بظاهرها على أن الإماء إذا زنين جلدن خمسين جلدة والأمر كذلك، ولكن جاءت آية أخرى تدل بعمومها على أن كل زانية تجلد مائة جلدة، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ[٢٥٢] ﴾ فما وجه التوفيق بين الآيتين؟

نقول: إن آية النساء هذه مخصصة لآية النور ؛ لأنه لا تعارض بين العام والخاص[٢٥٣]. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: تأول عمر وابن مسعود وابن عمر الآية، وقالوا : الإحصان هنا الإسلام، ورأوا أن الأمة تحد في الزنا سواء كانت متزوجة أم عزبى[٢٥٤] وإليه ذهب الأئمة الأربعة؛ بدليل ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ق سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن، فأوجب عليها الحد[٢٥٥] . قال ابن شهاب : فالأمة المتزوجة محدودة بالقرآن، والأمة غير المتزوجة محدودة بالسنة[٢٥٦]. وقد دلت هذه الآية على أن حد الأمة الجلد. ومن ثم فلا تعارض.

الموضع الثامن والعشرون

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ[٢٥٧] ﴾

---

[٢٥١]() سورة النساء الآية ٢٥.

[٢٥٢]() سورة النور الآية ٢.

[٢٥٣]() دفع إيهام الاضطراب ص ٧٩.

[٢٥٤]() 5 /16.

[٢٥٥]() صحيح البخارى، كتاب البيوع، باب بيع العبد الزاني ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى٢/ ١٣٢٩.

[٢٥٦]() التحرير والتنوير ٥ / ١٧.

[٢٥٧]() سورة النساء الآية ٢٦.

هذه الآية تدل بظاهرها على أن شرع من قبلنا شرع لنا، ونظيرها قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ[٢٥٨]﴾ . وجاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ[٢٥٩]﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: إن وجه الجمع بين هذه الآيات مختلف فيه، اختلافاً مبينا على الاختلاف في حكم هذه المسألة، وخلاصة ذلك أن جمهور العلماء يرى أن شرع من قبلنا إن ثبت بشرعنا فهو شرع لنا، ما لم يرد عليه ناسخ من شرعنا – لأنه ما ذكر لنا في شرعنا إلا لأجل الاعتبار والعمل ، وعلى هذا القول يكون وجه الجمع بين الآيتين أن معنى قوله: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ إن شرائع الرسل ربما ينسخ في بعضها حكم كان في غيرها، أو يزاد في بعضها حكم لم يكن في غيرها، فالشرعة إذًا إما بزيادة أحكام لم تكن مشروعة من قبل ، وإما بنسخ شيء كان مشروعًا من قبل، فتكون الآية لا دليل فيها على أن ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعة لمن قبلنا، ولم ينسخ أنه ليس من شرعنا؛ لأن زيادة ما لم يكن قبل، أو نسخ ما كان من قبل، كلاهما ليس من محل النزاع، غير أن الشافعي ومن وافقه يرى: أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا إلا بنص من شرعنا، أنه مشروع لنا[٢٦٠] ، وعلى هذا فوجه الجمع : أن المراد بسنن من قبلنا.. وبالهدى في قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ أصول الدين التي هي التوحيد، لا الفروع العملية، بدليل قوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ

---

[٢٥٨]() سورة الأنعام الآية ٩٠.

[٢٥٩]() سورة المائدة الآية ٤٨.

[٢٦٠]() دفع إيهام الاضطراب ص ٨٠ بتصرف.

جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾. ومن الأصول فرضية الصلاة، والزكاة، والصيام، فأصل هذه الفرائض موجود في الشرائع السابقة، بخلاف الكيفية، والصفة، فتختلف من شريعة إلى شريعة، ويرد على قول الشافعي ما جاء في البخاري أن مجاهداً سأل ابن عباس: من أين أخذت سجدة (ص) قال ابن عباس: من قوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ ، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[٢٦١] فسجدها داود، فسجدها رسول الله ﷺ[٢٦٢]، ومعلوم أن سجود التلاوة من الفروع .[٢٦٣]

ويقول أبو السعود في تفسيره لقوله: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾: « أي من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم» [٢٦٤] وحول قوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ يقول : « الآية كلام مستأنف جيء به لحمل أهل الكتابين من معاصري رسول الله ﷺ على الانقياد لحكمه بما أنزل عليه من القرآن الكريم، ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين، وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة - والخطاب للناس كافة، ومفاد هذا أن القرآن ناسخ لما قبله، إلا إذا كان ما قبله فيه، وأنه لا مانع من الاقتداء بالأنبياء والصالحين السابقين، إلا إذا كان هذا العمل منسوخا[٢٦٥]. يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: « إن في الآية بيانـاً وهدى بأن هذه الأمة تفوق من قبلها

---

[٢٦١]() سورة الأنعام الآية ٩٠.

[٢٦٢]() صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ أولئك الذين هداهم الله ﴾ ٥/ ١٩٤.

[٢٦٣]() دفع إيهام الاضطراب ص . ٨١

[٢٦٤]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢/ ١٦٨.

[٢٦٥]() المرجع السابق .45 / ٣

في انتظام أحوالها، وأن هذه الشريعة أهدى مما قبلها، وفي قوله: ﴿ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ فيه بيان لقصد إلحاق هذه الأمة بمزيا الأمم التي قبلها، والهداية إلى كليات الشرائع ومقاصدها، فإن الشرائع والتكاليف كما يقول الفخر وإن كانت مختلفة في نفسها، إلا أنها متفقة في باب المصالح.. كقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا . [٢٦٦] ﴾

الموضع التاسع والعشرون

قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢ [٢٦٧] ﴾ تفيد هذه الآية بظاهرها – أن الكفار لا يكتمون يوم القيامة من أخبارهم شيئًا، وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ [٢٦٨] ﴾، وقوله تعالى : ﴿ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءٖۚ [٢٦٩] ﴾ . وغير ذلك، فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟

نقول : إن ابن عباس سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ مع قوله:﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ فقال : هو ألسنتهم تقول: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ فيختم الله على أفواههم، وتشهد أيديهم، وأرجلهم، بما كانوا

---

[٢٦٦]() سورة الشورى الآية ١٣، وانظر: التحرير والتنوير ٥/ ١٨.

[٢٦٧]() سورة النساء الآية ٤٢.

[٢٦٨]() سورة الأنعام الآية . ٢٣

[٢٦٩]() سورة النحل الآية .٢٨

يعملون[٢٧٠]، فكتم الحق باعتبار اللسان، وعدمه باعتبار الأيدي والأرجل . ويشير إلى هذا الجمع قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ [٢٧١]﴾ .... الآية .

وقال الإمام أحمد : (أما قوله : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ ، وذلك أن هؤلاء المشركين إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد، يقول بعضهم لبعض إذا سألنا نقول: لم نكن مشركين، فلما جمعهم الله، وجمع أصنامهم، وقال: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ [٢٧٢]﴾ قال الله :﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ . فلما كتموا الشرك، ختم الله على أفواههم، وأنطق الجوارح فنطقت بذلك، فذلك قولهم:﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ [٢٧٣]﴾. فأخبر الله عز وجل عن الجوارح حين شهدت)[٢٧٤]. وبذا يرتفع الإيهام ويتم التوفيق .

الموضع الثلاثون

قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ [٢٧٥]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الجلود التي عصت قد احترقت، وأبدلهم جلوداً غيرها؟ فكيف الله يعذب جلوداً لم تذنب حين يقول :﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾؟.

---

[٢٧٠]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٨/ ٣٧٤.

[٢٧١]() سورة يس الآية ٦٥، دفع إيهام الاضطراب ص ٨٢.

[٢٧٢]() سورة القصص الآية ٦٢، والآية ٧٤.

[٢٧٣]() سورة يس الآية ٦٥ .

[٢٧٤]() الرد على الجهمية والزنادقة ص . ٩٣

[٢٧٥]() سورة النساء الآية ٥٦ .

يقول الإمام أحمد: (إن قول الله تعالى: ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ليس معنى جلوداً غير جلودهم، وإنما يعني بدلناهم جلوداً غيرها، تبديلها تجديدها، لأن جلودهم إذا نضجت، جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء).[٢٧٦]

كذلك فقد أثبت العلم أن الجلد وسيلة للإحساس[٢٧٧]، بمعنى أنه لو فقد المرء جلده فإن إحساسه يضعف أو ينعدم .

والذوق في الآية الكريمة ليس للجلود بل لأصحابها، فتبديلها سواء أكان تبديلاً مطلقا، أو تجديدًا، لا يجعلها تنفك عن صاحبها، فالأعضاء الحية تنقل من فرد لآخر كالكلى، وهي عندما تنقل للثاني تصير في جسده عضواً، تحس هي بما يحس، ويحس هو بما تحس. وهذا لا يمنع من إحساس باطن الجسم بما يعتريه من أمراض في ذاته لا تنقل إليه بواسطة الجلد فليتدبر أولو الأبصار.

الموضع الحادي والثلاثون

قوله: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ..[٢٧٨] ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ[٢٧٩] ﴾ فما وجه التوفيق بين الآيتين؟

نقول: إن معنى قوله: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾ أي مطر ورزق، يقولوا هذا

---

[٢٧٦]() الرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٦.

[٢٧٧]() وجوه من الإعجاز القرآني. مصطفى الدباغ ص ٨١.

[٢٧٨]() سورة النساء الآية ٧٨.

[٢٧٩]() سورة النساء الآية ٧٩.

من عند الله، وإن تصبهم سيئة من فقر ومرض وقحط يقولوا: هذا من عندك، أي من شؤمك يا محمد، وشؤم ما جئت به، قل لهم كل ذلك من الله، فبيده مقادير كل شيء، من خير وشر، فهو أخبر بعباده، وبما يصلحهم.[٢٨٠]

يقول أبن عطية : « والخطاب في الآية للنبي ق وغيره داخل في المعنى – وقيل: الخطاب للمرء على الجملة» [٢٨١] يقول ابن عباس : ومعنى هذه الآية القطع واستئناف الإخبار من الله تعالى، بأن الحسنة منه وبفضله، والسيئة من الإنسان بإذنابه، وهي من الله : بالخلق والاختراع ، ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ [٢٨٢] ﴾ جزع فقال له رسول اللهق : ألست تمرض؟ ألست تسقم؟ ألست تغتم»[٢٨٣]. وقال عليه الصلاة والسلام : «ما يصيب الرجل خدشة عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر».[٢٨٤]

قوله ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾ قال: عقوبة بذنبك يا بن آدم. ونظير هذه الآية قول الله في فرعون وقومه مع موسى : ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ [٢٨٥] ﴾ وقوله في قوم صالح مع صالح: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ [٢٨٦] ﴾،

---

[٢٨٠]() دفع إيهام الاضطراب ص .٨٣ ، ٨٢

[٢٨١]() المحرر الوجيز ٤/ ١٤١.

[٢٨٢]() سورة النساء الآية .١٢٣

[٢٨٣]() الدر المنثور للسيوطي .696 / ٢

[٢٨٤]() المحرر الوجيز ٤/ ١٤٢.

[٢٨٥]() سورة الأعراف الآية .١٣١

[٢٨٦]() سورة النحل الآية ٤٧.

وغير ذلك. وقوله: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ ولأنه هو المتفضل بكل نعمة ، وقوله : ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أي بما هو من قبل نفسك وبما قدمت يداك .

يقول أبو السعود في تفسيره : الضمير في ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ لليهود والمنافقين: كان الله بسط عليهم الرزق، فلما قدم رسول الله المدينة ودعاهم للإيمان وكفروا، أمسك الله عنهم بعض الإمساك، فقالوا ما قالوا فأمر ق أن يفند كذبهم، ويقول لهم كل من عند الله من خير وغيره .[٢٨٧]

الموضع الثاني والثلاثون

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ[٢٨٨] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن القاتل عمدًا لا توبة له .. وأنه مخلد في النار وقد جاءت آيات أخرى بخلاف ذلك منها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ[٢٨٩] ﴾ وغيرها من الآيات. وخلاصة هذه المسألة أن القاتل عمدًا مستحلاً للقتل، قد أحل الحرام فيخلد في النار، أو أن الآية من باب التغليظ ؛ لأن الحديث ورد في الصحيحين: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» [٢٩٠] وآية البقرة تقول: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ

---

[٢٨٧]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢/ ٢٠٥.

[٢٨٨]() سورة النساء الآية ٩٣.

[٢٨٩]() سورة النساء الآية ١١٦.

[٢٩٠]() صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٧٨.

بِٱلۡمَعۡرُوفِ[291] ﴾ فقد صرحت بأن القاتل أخ المقتول وآية الفرقان ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ .. ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ[292] ﴾ ومما يدل على صحة ما ذكرناه قصة الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم تاب، وأمة محمد أولى بذلك[293]. ويقول أبو السعود: لا مستمسك للمعتزلة والخوارج بخلود القاتل عمداً في النار، إلا إذا استحل ذلك القتل؛ لأنها نزلت – أي الآية – في مقيس بن ضبابة الكناني، وقتله الزبير بن عياض الفهري، وقد أباح الرسول دم مقيس، ولو كان معلقـًا بأستار الكعبة ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، بل قالوا : إن المراد بالخلود هنا المكث الطويل – لا – الدوام؛ لتظاهر النصوص بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم، وأن الآية محمولة على التغليظ. وقصة مقيس تتلخص أنه وجد أخاه قتيلاً في بني النجار ، ولم يعرف قاتله ، فأمر له رسول الله بالدية ، فأعطوها الأنصار له مائة، فأرسل معه هذا القرشي الفهري فقتل مقيس الفهري، وأخذ الدية ورجع إلى مكة يعبد الأصنام، فأهدر الرسول دمه ونزلت فيه الآية [294].

وخلاصة القول : أن المؤمن ما دام يموت مؤمنـًا لا يخلد في النار، وهو تحت عفو الله، وقد يخلف الله وعيده، ويعفو عنه، لحديث أنس رضي الله عنه – أن رسول الله ق قال : «من وعده الله تعالى على عمله ثوابـًا فهو منجز له، ومن أوعده

[291]() سورة البقرة الآية .١٧٨

[292]() سورة الفرقان الآيات ٦٨ . 70 –

[293]() دفع إيهام الاضطراب ص ٩٠ – ٨٧ بتصرف.

[294]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٢/ ٢١٧.

على عمله عقابا فهو بالخيار».[٢٩٥]

سورة المائدة - الموضع الثالث والثلاثون

قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ[٢٩٦] ﴾. تدل هذه الآية بظاهرها وعمومها على إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقـًا، سموا عليها غير الله أو سكتوا؛ لأن الكل داخل في طعامهم بما في ذلك ذبائحهم بإجماع المسلمين. وقد جاءت آيات أخرى تفيد أن ما سمي عليه غير الله لا يجوز أكله، وما لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله أيضًا، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ[٢٩٧] ﴾ وقوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ[٢٩٨]﴾ وقوله في الأنعام: ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ[٢٩٩] ﴾ وفي النحل ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ[٣٠٠]﴾ هذه آيات فيما ذكر عليه اسم غير الله . وأما الآيات التي وردت في منع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، فمنها ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ[٣٠١]﴾ وقوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ[٣٠٢] ﴾ فإنه يفهم منه عدم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه . فما القول الفصل في هذه الآيات؟ وكيف

---

[٢٩٥]() مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٢١١.

[٢٩٦]() سورة المائدة الآية ٥.

[٢٩٧]() سورة المائدة الآية ٣.

[٢٩٨]() سورة البقرة الآية .173

[٢٩٩]() الآية ١٤٥.

[٣٠٠]() سورة النحل الآية ١١٥.

[٣٠١]() سورة الأنعام الآية .١٢١

[٣٠٢]() سورة الأنعام الآيتان .١١٩، ١١٨

نوفق بينها؟

للتوفيق بين الآيات، وإزالة ما يوهم التعارض نقول : تتلخص الإجابة حول مبحثين اثنين هما: الأول : في وجه الجمع بين عموم آية ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ.. ﴾ مع عموم الآيات المحرمة لما أهل به لغير الله، فيما إذا سمى الكتابي على ذبيحته غير الله، بأن أهلَّ بها للصليب أو عيسى أو نحو ذلك . الثاني: في وجه الجمع بين آية ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾.. مع قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فيما إذا لم يسم الكتابي الله ولا غيره .

وحاصل المبحث الأول كما يقول الشنقيطي : أن بين قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ وبين قوله: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ عمومًا وخصوصًا من وجه تنفرد آية ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في الخبز والجبن من طعامهم مثلاً، وتنفرد آية : ﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ في ذبح الوثني لوثنه، ويجتمعان في ذبيحة الكتابي التي أهل بها لغير الله، كالصليب أو عيسى، فعموم قوله : ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ يقتضي تحريمها، وعموم قوله: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يقتضي حلها، فكيف التوفيق بين الآيات على هذا الأساس؟

تقرر في علم الأصول أن الأعمين من وجه، يتعارضان في الصورة التي يجتمعان فيها، فيجب الترجيح بينهما، والراجح منهما يقدم، ويخصص به عموم الآخر، فإذا تحقق ذلك فلنعلم أن العلماء اختلفوا في هذين العمومين أيهما أرجح، فالجمهور يرجح الآيات المحرمة وهو مذهب الشافعي ورواية عن مالك، والإمام أحمد وهو أيضا قول ابن عمر وربيعة كما ذكره البغوي. وصاحب

المغني، والنووي في المهذب عن علي وعائشة، ورجح بعضهم عموم آية التحليل، بأن الله أحل ذبائحهم، وهو أعلم بما يقولون، كما احتج الشعبي وعطاء على إباحة ما أهلوا به لغير الله.

قال الشنقيطي: قال مقيده عفا الله عنه، الذي يظهر والله أعلم، أن عموم آيات المنع أرجح، وأحق بالاعتبار من طرق متعددة، منها : قول النبي ق : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[٣٠٣] وقوله ق :« فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[٣٠٤]، ومنها : أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وذلك يعني أن النهي إذا تعارض مع الإباحة، كما هنا، فالنهي أولى بالتقديم والاعتبار؛ لأن ترك مباح أهون من ارتكاب حرام. كما صرح علماء الأصول بأن النص الدال على الإباحة في المرتبة الثالثة من النص الدال على نهي التحريم؛ لأن نهي التحريم مقدم على الأمر الدال على الوجوب ، والدال على الأمر مقدم على الدال على الإباحة، للاحتياط في البراءة من عهدة الطلب . فتحصل من هذا أن الأول النهي، فالأمر، فالإباحة، فظهر تقديم ما أهل به لغير الله، على إباحة طعام أهل الكتاب[٣٠٥]. وبذلك يكون تحريم ما أهل به لغير الله مقدماً ومخصصًا لآية ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ. ﴾

وأما المبحث الثاني : وهو الجمع بين آية ﴿ وَطَعَامُ .. ﴾ مع قوله : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ فيما إذا لم يذكر الكتابي على ذبيحته اسم الله

---

[٣٠٣]() سنن الترمذي ٤/ ٦٦٨ ح٢٥١٨.

[٣٠٤]() صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه .

[٣٠٥]() دفع إيهام الاضطراب ص ٩١- ٩٤ بتصرف.

ولا اسم غيره، فحاصله : أن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ يحتمل وجهين من التفسير، أحدهما : وذهب إليه الشافعي وقواه ابن كثير في تفسيره : أن المراد بقوله: ﴿ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ..... ﴾ هو ما أهل به لغير الله [٣٠٦] ، وعلى هذا يكون متفقاً مع المبحث الأول . ثانيهما: أن الآية على ظاهرها، وعلى ذلك فبين الآيتين أيضا عموم وخصوص من وجه، تنفرد آية ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيما ذبحه الكتابي وذكر عليه اسم الله، فذلك حلال بلا نزاع ، وتنفرد آية ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فيما ذبحه وثني، أو مسلم، لم يذكر اسم الله عليه، فما ذبحه الوثني حرام بلا نزاع ، ولا يجوز أكله، وما ذبحه المسلم من غير تسمية حلال ويجوز أكله، ويجتمعان فيما ذبحه كتابي ولم يسم الله عليه، فذلك فيه تعارض فيدل عموم ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ على الإباحة، ويدل عموم ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ على التحريم فيصار إلى الترجيح، واختلف أيضا في هذين العمومين أيهما أرجح، فذهب الجمهور إلى ترجيح عموم ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ . وقال بعضهم بترجيح عموم ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ قال النووي في شرح المهذب: « ذبيحة أهل الكتاب حلال ذكروا عليها اسم الله أم لا، لظاهر القرآن الكريم» ثم قال: هذا مذهبنا ومذهب الجمهور، وحكى ذلك ابن المنذر عن علي، والنخعي وحماد وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق وغيرهم، فإن ذبحوا على صنم أو غيره لم يحل.

---

[٣٠٦] () تفسير ابن كثير .١٨٣ / ٢

وحكى النووي القول الآخر عن علي أيضـًا وعائشة وابن عمر.

قال الشنقيطي : الذي يظهر والله أعلم، أن لعموم كل من الآيتين مرجحـًا، وأن مرجح آية التحليل أقوى وأحق بالاعتبار، أما آية التحليل فيرجح عمومها بأمرين: الأمر الأول : أنها أقل تخصيصًا، وآية التحريم أكثر تخصيصًا؛ لأن الشافعي ومن وافقه خصصوها بما ذبح لغير الله . وخصصها الجمهور بما تركت فيه التسمية عمدًا قائلين : إن تركها نسيانا لا أثر له ، وآية التحليل ليس فيها من التخصيص غير صورة النزاع إلا تخصيصٌ واحدٌ، هو كونها مخصوصة بما لم يذكر عليه اسم غير الله، على القول الصحيح، وقد تقرر في الأصول أن الأقل تخصيصـًا مقدم على الأكثر تخصيصـًا، كما أن ما لم يدخله التخصيص أصلاً مقدم على ما دخله عند جمهور الأصوليين. الأمر الثاني: ما نقله ابن جرير، ونقله عنه ابن كثير عن عكرمة والحسن البصري أن آية ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ناسخة لآية ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ . ﴾

وقال ابن جرير وابن كثير: إن مرادهم بالنسخ التخصيص، ولكن ورد على هذا الرأي أن التخصيص بعد العمل بالعام نسخ؛ لأن التخصيص بيان ، والبيان لا يجوز تأخيره عن وقت العمل، ويدل لهذا أن آية ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ من سورة الأنعام مكية بالإجماع وآية: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ من سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة . وأما آية التحريم فيرجح عمومها بقوله ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ لأن كلتيهما دلت على نهي يظهر تعارضه مع إباحة.

يقول الشنقيطي : وحاصل هذه المسألة أن ذبيحة الكتابي لها خمس حالات تتلخص فيما يلي :

الأولى : أن يعلم أنه سمى الله عليها، وفي هذه الحالة تؤكل بلا نزاع ولا عبرة بغير ذلك . الثانية : أن يعلم أنه أهلَّ بها لغير الله، وهذه فيها خلاف، والتحقيق أنها لا تؤكل؛ لأنه أهل بها لغير الله. الثالثة : أن يعلم أنه جمع بين اسم الله واسم غيره، وظاهر النصوص أنها لا تؤكل لدخولها فيما أهلَّ لغير الله به . الرابعة : أن يعلم أنه سكت ولم يسم الله ولا غيره : فالجمهور على الإباحة وهو الحق، والبعض على التحريم . الخامسة : أن يجهل الأمر لكونه ذبح حالة انفراده ، فتؤكل على ما عليه الجمهور من العلماء ، وهو الحق إن لم يعرف عن الكتابي أنه يأكل الميتة، كالذي يسل عنق الدجاجة بيده، فإن عرف أنه يأكل الميتة لم يؤكل، ما غاب عليه عند بعض العلماء، وهو مذهب مالك.. ويجوز أكله عند البعض.

ثم أردف قائلاً: وما وعدنا به من ذكر حكم ما ذبحه المسلم، ولم يسم عليه، فحاصله أن فيه ثلاثة أقوال : أنه إن ترك التسمية عمدًا لم تؤكل ذبيحته، لعموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وإن تركها نسيانًا أُكلت ؛ لأنه لو تذكر لسمى الله، قال ابن جرير: من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول الحجة، وخالف الخبر الثابت عن رسول الله، قال ابن كثير: هو موقوف على ابن عباس ونصه : «المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله»[٣٠٧] . ويقول أبو السعود في تفسيره : في آية الأنعام ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الآية، «هذا ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أو نسيانًا،

[٣٠٧]() المرجع السابق ٢/ ١٨٤، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ٩٧ – ١٠٢ بتصرف.

وإلى ذلك ذهب أحمد بن حنبل وداود ، وقال مالك والشافعي بخلافه لقول رسول الله ق : «ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه»، وفرق أبو حنيفة بين العمد والنسيان، وأوله بما ذكر عليه غير اسم الله لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ ﴾ فإن الفسق ما أهل به لغير الله»[٣٠٨]. ورحم الله القرطبي فقد لخص المسألة في إيجاز وافٍ، فقال «قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ ﴾ هو اسم لما يؤكل والذبائح منه، وهو هنا خاص بالذبائح عند كثير من أهل العلم بالتأويل، وأما ما حرم علينا من طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب، قال ابن عباس : قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ ثم استثنى فقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ ﴾ يعني ذبيحة اليهودي والنصراني. وإن كان النصراني يقول عند الذبح باسم المسيح، واليهودي يقول باسم عزير؛ لأنهم يذبحون على الملة. وقال عطاء : كُلْ من ذبيحة النصراني وإن قال باسم المسيح؛ لأن الله جل وعلا قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون. وقالت طائفة: إذا سمعت الكتابي يسمي غير الله - عز وجل - فلا تأكل. وبذلك قال علي وعائشة وابن عمر وآخرون. وقال مالك : أكره ذلك ولم يحرمه، وقال من جوّز لا شك أنهم لا يسمون على الذبيحة إلا الإله، الذي ليس معبودا حقيقة مثل المسيح وعزير، واشتراط التسمية لا على وجه العبادة لا يعقل، ووجود التسمية من الكافر وعدمها سواء، إذا لم تتصور منه العبادة، ولأن النصراني إنما يذبح على اسم المسيح، وقد حكم الله بحل ذبائحهم مطلقـًا، وفي ذلك دليل على أن التسمية لا

---

[٣٠٨]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ١٨٠.

تشترط أصلا كما يقول الشافعي».[٣٠٩]

وبهذا نكون رفعنا ما يوهم التعارض، ووفقنا بين الآيات .

الموضع الرابع والثلاثون

قوله تعالى : ﴿ أَوْءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ[٣١٠] ﴾ هذه الآية تدل على قبول شهادة الكفار على الوصية في السفر، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ [٣١١] ﴾، وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ[٣١٢] ﴾ وقوله: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ [٣١٣] ﴾ . فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

أولاً: نقول هناك من لا يقبل شهادة الكافر على الوصية في السفر، وهؤلاء يقولون إن قوله: ﴿ أَوْءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ منسوخ بآيات اشتراط العدالة، وهناك من يقبل شهادته، ويقول الآية محكمة مخصصة لعموم غيرها، وأما على قول من يقول: إن معنى قوله: ﴿ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي من قبيلة الموصي، وقوله: ﴿ أَوْءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي من غير قبيلة الموصي من سائر المسلمين، فلا إشكال في الآية، ولكن جمهور العلماء يرى أن قوله تعالى: ﴿ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي من غير المسلمين،

---

[٣٠٩]() الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٧٦ وما بعدها .

[٣١٠]() سورة المائدة الآية ١٠٦.

[٣١١]() سورة النحل الآية ١٠٥.

[٣١٢]() سورة الطلاق الآية .٢

[٣١٣]() سورة البقرة الآية . ٢٨٢

وأن قوله: ﴿ مِّنكُمْ ﴾ في الآية أي من المسلمين، وهذا هو الظاهر[٣١٤]. قال القرطبي قوله تعالى: ﴿ مِّنكُمْ ﴾ أي من عشيرتكم وقرابتكم؛ لأنهم أحفظ وأضبط وأبعد عن النسيان، وقوله: ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ أي من غير عشيرتكم من المسلمين، خلافاً لأبي حنيفة الذي قال: « أي من غير أهل دينكم فتقبل شهادة أهل الذمة على المسلمين، وعلى بعضهم البعض، فإن قيل: هذه الآية دلت على جواز قبول شهادة أهل الذمة على المسلمين من طريق النطق، ودلت على قبول شهادتهم على أهل الذمة من طريق التنبيه، وذلك أنه إذا قبلت شهادتهم على المسلمين، فعلى أهل الذمة من باب أولى، ثم دل الدليل على بطلان شهادتهم على المسلمين، فبقي شهادتهم على أهل الذمة على ما كان عليه ، وهذا ليس بشيء، لأن قبول شهادة أهل الذمة على أهل الذمة فرع لقبول شهادتهم على المسلمين، فإذا بطلت شهادتهم على المسلمين وهي الأصل، فلأن تبطل شهادتهم على أهل الذمة، وهي فرعها أحرى وأولى. والله أعلم».[٣١٥]

الموضع الخامس والثلاثون

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ[٣١٦] ﴾ تفيد هذه الآية أن الرسل لا يشهدون على أممهم يوم القيامة، وقد جاءت آية أخرى تفيد أنهم يشهدون على أممهم، وهي قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا[٣١٧] ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ

---

[٣١٤]() دفع إيهام الاضطراب ص ١١٤ .

[٣١٥]() الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٥٠- ٣٥١.

[٣١٦]() سورة المائدة الآية ١٠٩.

[٣١٧]() سورة النساء الآية ٤١.

﴿نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾(٣١٨) فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

يقول ابن جرير الطبري : المعنى لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، فلا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فلو عرفنا من أجابنا فإنما نعرف الظواهر فقط، ولا علم لنا بالبواطن، فأنت يا الله العليم بالسرائر وما تخفيه الضمائر فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم(٣١٩). ونقل ابن كثير وغيره عن مجاهد والحسن البصري أن المعنى أنهم قالوا : ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾، ذلك لما اعتراهم من شدة هول يوم القيامة، ثم زال عنهم فشهدوا على أممهم(٣٢٠). يقول ابن عطية في المحرر: المراد من ﴿يَوۡمَ﴾، هو يوم القيامة، وخص الرسل بالذكر لأنهم قادة الخلق، وفي ضمن جمعهم جمع الخلائق وهم المكلمون أولاً. وقوله: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ﴾ معناه ماذا أجابت به الأمم من إيمان أو كفر، وطاعة أو عصيان، ووجه السؤال للأنبياء والرسل لتقوم الحجة على الأمم، وقوله: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ معناه كما قال ابن عباس: لا علم لنا إلا علماً أنت أعلم به منا، ورجح هذا القول ؛ لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى، ورد الأمر إليه (٣٢١)، وبهذا نكون قد وفقنا بين الآيات.

الموضع السادس والثلاثون

٣١٨() سورة النحل الآية ٨٩.

٣١٩() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ١٢٦.

٣٢٠() تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٣، دفع إيهام الاضطراب ص ١١٥.

٣٢١() 5/95.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ [٣٢٢] ﴾ تدل هذه الآية الكريمة بظاهرها على أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة، وقد جاء في آيات أخرى ما يوهم خلاف ذلك، كقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ [٣٢٣] ﴾، وفي سورة غافر قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ [٣٢٤] ﴾. وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول: قوله: ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾.. إلخ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ .. إلخ لا منافاة بينهما، لأن كلاً من آل فرعون، والمنافقين في أسفل دركات النار، دون تفاضل بينهم، والكفر كله ملة واحدة، أما قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا ﴾ الآية، فقد قال ابن كثير: والمراد عالمو زمانهم كقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ [٣٢٥] ﴾وقال آخرون: المراد به العذاب الدنيوي، ومنه مسخهم خنازير، وقد روى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن عمرو أنه قال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون [٣٢٦] وذلك على القول بكفر من كفر بعد نزولها[٣٢٧]. يقول أبو السعود في تفسيره عند قوله : ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال : أي من عالمي زمانهم، أو من العالمين جميعاً،

---

[٣٢٢]() سورة المائدة الآية ١١٥.

[٣٢٣]() الآية ١٤٥.

[٣٢٤]() الآية ٤٦.

[٣٢٥]() سورة البقرة الآية ٤٧، انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٦.

[٣٢٦]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ١٣٦.

[٣٢٧]() دفع إيهام الاضطراب ص ١١٥ - ١١٦.

ثم قال: والصحيح الذي عليه جماهير الأمة أنها نزلت – أي المائدة – وأن عيسى بكى عند نزولها، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة للعالمين، ولا تجعلها مثلة وعقوبة، وإذا هي سمكة مشوية بلا شوك، وقال شمعون: رأس الحواريين، يا روح الله، أمن طعام الدنيا، أم من طعام الآخرة؟ قال: ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية – كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله . فقالوا: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال : يا سمكة أحيي بإذن الله، فاضطربت ثم قال لها : عودي كما كنت، فعادت مشوية ثم طارت المائدة ، ثم عصوا، فمسخوا قردة وخنازير[٣٢٨]. من هنا نقول: لا منافاة بين الآيات، فقد يكون العذاب بعضه أشد من بعض، فربما كان عذاب أصحاب المائدة أشد من عذاب آل فرعون والمنافقين، نظراً لما نزل بسببهم، دون منافاة بين الآيات.

سورة الأنعام - الموضع السابع والثلاثون

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ[٣٢٩] ﴾ ونظيرها قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ[٣٣٠] ﴾ . وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ [٣٣١] ﴾ وللتوفيق بين هذه الآيات، وإزالة ما يوهم التعارض نقول : إن معنى قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ – أي لا ينصرهم

---

[٣٢٨]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ٩٩.

[٣٢٩]() سورة الأنعام الآية ٦٢.

[٣٣٠]() سورة يونس الآية ٣٠.

[٣٣١]() سورة القتال الآية ١١.

ولا يؤيدهم، ومعنى كونه مولاهم أي مالكهم والمتصرف في شؤونهم، ومعنى كونه مولى المؤمنين أي يتولاهم بالمحبة والنصرة والتأييد[٣٣٢] .. فهو وليهم وناصرهم كما قال:﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٣٣٣]﴾. ويقول أبو السعود في تفسيره : مولاهم أي مالكهم الذي يلي أمورهم على الإطلاق لا ناصراً لهم، كما في قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ[٣٣٤]﴾ ويقول ابن عطية : الضمير في (ردوا) عائد على المتقدم ذكرهم، ويظهر أنه يعود على العباد، فهو إعلام يرد الكل، ومولاهم لفظ عام لأنواع الولاية التي تكون بين الله وبين عبيده، من الرزق والنصرة والمحاسبة والملك، وغير ذلك.[٣٣٥]

الموضع الثامن والثلاثون

قوله: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ[٣٣٦]﴾. تفيد هذه الآية بظاهرها أنه لا إثم على من جالس الخائضين في آيات الله بالاستهزاء والتكذيب ، وقد جاء ما يدل على أن من جالسهم كان مثلهم في الإثم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ[٣٣٧] ﴾ . فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

---

[٣٣٢]() دفع إيهام الاضطراب ص . ١١٧

[٣٣٣]() سورة الروم الآية ٤٧.

[٣٣٤]() سورة القتال الآية ١١، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ١٤٥.

[٣٣٥]() التحرير والتنوير ٥/ ٢٢٦.

[٣٣٦]() سورة الأنعام الآية ٦٩.

[٣٣٧]() سورة النساء الآية ١٤٠.

نقول إن قوله ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ أي ما على المؤمنين في مجالسة الكفار، الذين يخوضون في آيات الله، عند خوضهم من حساب الكفار من شيء، فهم بعيدون عن الخوض مع الخائضين، وعلى هذا فلا إشكال، وقد يكون المعنى: وما على المتقين فيما يقع من الكفار من الخوض في آيات الله في مجالستهم لهم من شيء، وعلى هذا يكون ذلك ترخيصاً للمتقين في مجالسة الكفار. ويكون ذلك في أول الإسلام للضرورة، ثم نسخ بقوله: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ وقد قال بذلك مجاهد والسُّدي وابن جريج، ونقل ابن كثير عنهم ذلك[٣٣٨]. وعلى ذلك فلا إشكال أيضا. ويكون معنى قوله: ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي لا إثم عليهم إذا اجتنبوا مجالسهم، غير أن الأمر باتقاء مجالستهم عند الخوض في الآيات، لا يسقط وجوب تذكيرهم، ووعظهم وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، لعلهم يتقون الله بسبب ذلك، هذا على الوجه الأول. وعلى الوجه الثاني : يكون المعنى بأن الترخيص في المجالسة لا يسقط التذكير، لعلهم يتقون الخوض في آيات الله بالباطل، إذا وقعت منكم الذكرى لهم[٣٣٩] . يقول أبو السعود في تفسيره: « أنه روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن المسلمين حين نهوا عن مجالستهم، عند خوضهم في الآيات، قالوا لئن كنا نقول كلما استهزؤوا بالقرآن، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ونطوف بالبيت، فنزلت، أي ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ قبائح أعمال الخائضين وأحوالهم ﴿ مِنْ حِسَابِهِم ﴾ أي مما يحاسبون عليه من الجرائر ﴿ مِّن شَيْءٍ ﴾ أي شيء ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ ﴾ استدراك

---

[٣٣٨]() تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٥.

[٣٣٩]() دفع إيهام الاضطراب ص .١١٨

من النفي السابق، أي: ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم، عما هم عليه من القبائح، بما أمكن من العظة والتذكير، ويظهروا لهم الكراهة والنكير»[٣٤٠]. وعلى ذلك فلا تنافي بين الآيات.

الموضع التاسع والثلاثون

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا[٣٤١]﴾ . هذه الآية توهم غير العالم أن إنذاره ق مخصص بمكة المكرمة، ومن حولها من البلدان، دون سائر الأقطار، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ[٣٤٢]﴾. وقد جاءت آيات أخرى تفيد عموم إنذاره – عليه الصلاة والسلام – للعالمين كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا[٣٤٣]﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ[٣٤٤]﴾. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا[٣٤٥] ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا[٣٤٦] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

أولاً: المراد من قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ في آية الأنعام شامل لجميع الأرض، فقد

---

[٣٤٠]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ١٤٧.

[٣٤١]() سورة الأنعام الآية ٩٢.

[٣٤٢]() سورة الشورى الآية ٧.

[٣٤٣]() سورة الفرقان الآية ١.

[٣٤٤]() سورة الأنعام الآية ١٩.

[٣٤٥]() سورة الأعراف الآية ٥٨.

[٣٤٦]() سورة سبأ الآية ٢٨.

روى الطبري وغيره عن ابن عباس ذلك المعنى[٣٤٧]. وحتى لو قلنا بأن المراد من قوله ﴿ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ جزيرة العرب، فإن الآيات الأخرى نصت على العموم كقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ وذكر بعض أفراد العام في حكمه لا يخصصه عند عامة العلماء، ولم يخالف في ذلك إلا أبو ثور [٣٤٨] فالآية على هذا، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ [٣٤٩] ﴾ فإن ذلك لا يدل إطلاقاً على عدم إنذار غيرهم. يقول أبو السعود في تفسيره :﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ ﴾ إنما ذكرت باسمها، المنبئ عن كونها أعظم القرى شاناً وقبلة، لأهلها قاطبة، إيذاناً بأن إنذار أهلها، مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة، وقوله : ﴿ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ أي: من أهل المدر والوبر في المشارق والمغارب[٣٥٠]. يقول ابن عطية في المحرر: «وأم القرى مكة سميت بذلك؛ لأنها منشأ الدين والشرع، وأن الأرض منها دحيت، وأنها وسط الأرض، وأنها قبلة كل قرية، فهي لهذا أم، وسائر القرى بنات، والتقدير لتنذر أهل أم القرى ومن حولها؛ يريد أهل سائر الأرض[٣٥١] . ويقول القرطبي : ﴿ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾أي: جميع الآفاق[٣٥٢]. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات ويزال ما يوهم التعارض.

---

[٣٤٧]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/ ٢٧١.

[٣٤٨]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٢٠.

[٣٤٩]() سورة الشعراء الآية ٢١٤.

[٣٥٠]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ١٦٢.

[٣٥١]() المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٤.

[٣٥٢]() الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٨.

الموضع الأربعون

قوله تعالى :﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾[353] توهم هذه الآية أن الله تعالى لا يُرى بالأبصار، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أنه يرى بالأبصار كقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[354]. وقوله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[355] والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم – عز وجل – وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[356] . وكقوله تعالى في الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[357] ومفهوم الآية في موضعها أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن ربهم، فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: إن من أُسس عقيدة المعتزلة وجوب نفي رؤية الله تعالى، ومن لم يعتقد ذلك عندهم فهو كافر مُشَبِّه.

قال القاضي عبد الجبار : (الرؤية بالأبصار على الله مستحيل)[358]، وقال أيضا: (ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية).[359]

ومن عمدة ما استدلوا به على نفي الرؤية ، قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَّا

---

[353] سورة الأنعام الآية ١٠٣.

[354] سورة القيامة الآيتان ٢٣، ٢٢.

[355] سورة يونس الآية ٢٦.

[356] سورة ق الآية ٣٥.

[357] سورة المطففين الآية ١٥.

[358] شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص . ٢٣٢

[359] المرجع السابق.

تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ .[٣٦٠]﴾

قال القاضي عبد الجبار: (ووجه الدلالة في الآية، هو ما قد ثبت من أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدّحًا راجعًا إلى ذاته، كان إثباته نقصًا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال).[٣٦١]

وقال أيضا: (وربما قيل في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[٣٦٢]﴾ إنه أقوى دليل على أن الله تعالى يُرى في الآخرة؟ وجوابنا : أن من تعلق بذلك إن كان ممن يقول بأن الله تعالى جسم، فإننا لا ننازعه في أنه يُرى، بل في أنه يُصافح، ويُعانَق، ويُلمَس، تعالى الله عن ذلك، وإنما نكلمه في أنه ليس بجسم لا يصح، لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلبًا لرؤيته، وذلك لا يصح إلا في الأجسام، فيجب أن يتناول على ما يصح النظر إليه، وهو الثواب .[٣٦٣]

والرد عليهم من وجوه :

الأول : إن قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ دليل عليهم، وذلك لأن الله تعالى إنما ذكر الرؤية في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يُمدَح به، وإنما يمدح الحق تبارك وتعالى بالنفي، إذا تضمن أمراً وجوديًا، كمدحه بنفي السِّنَة

---

[٣٦٠]() سورة الأنعام الآية .١٠٣

[٣٦١]() شرح الأصول الخمسة ص .٢٣٣

[٣٦٢]() سورة القيامة الآيتان .٢٣ ،٢٢

[٣٦٣]() تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار ص ٤٤٢.

والنوم، المتضمن كمال القيومية، وبنفي الموت المتضمن كمال الحياة ، وبنفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمراً ثبوتيًّا؛ فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم. ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه.

الثاني : إن معنى الآية الكريمة : أنه يُرى ولا يدرك، ولا يحاط به، فقوله سبحانه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يُدْرَك، بحيث يُحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى :﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ[٣٦٤] ﴾ فلم ينف موسى - عليه السلام - الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمـًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية .. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه).[٣٦٥]

أما تأويلهم الرؤية في الآية الثانية :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[٣٦٦] ﴾ فباطل؛ لأنه إخراج للفظ من حقيقته إلى مجازه، وذلك لأن إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في الآية، وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقة موضوعة في أن الله تعالى أراد بذلك نظر العين التي

---

[٣٦٤]() سورة الشعراء الآيتان ٦٢، ٦٣.

[٣٦٥]() شرح العقيدة الطحاوية ص . ٢٠٩ ، ٢٠٨

[٣٦٦]() سورة القيامة الآيتان .٢٣ ،٢٢

في الوجه إلى الرب جل جلاله. وأما النصوص الواردة بإثبات الرؤية من سنة المصطفى ق، فقد ردوها بحجة أنها أخبار آحاد مفيدة للظن، فلا يثبت بها ما كان طريق ثبوته العلم اليقيني.[٣٦٧]

وموقف المعتزلة من الرؤية مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، فهم يثبتون رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة، على الحقيقة من غير تأويل، ويثبتون الأحاديث الواردة بها.

قال الطحاوي رحمه الله : (والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعَلِمَه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد ما اشتبه عليه إلى عالمه).[٣٦٨]

ومن الأحاديث الدالة على ثبوت الرؤية ما رواه جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – ، قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا».[٣٦٩]

---

[٣٦٧]() شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٥، وانظر: آراء المعتزلة الأصولية –دراسة وتقويماً– علي الضويحي ص١٠٢.

[٣٦٨]() شرح العقيدة الطحاوية ص 216 – ٢١٢ بتصرف .

[٣٦٩]() رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) .

وللتوفيق بين الآيات نقول : قال الإمام أحمد: (أما قوله :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني الحسن والبياض ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني تعاين ربها في الجنة . وأما قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا دون الآخرة ، وذلك أن اليهود قالوا لموسى: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ[٣٧٠]﴾ . فماتوا وعوقبوا لقولهم: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ، وقد سألت مشركو قريش النبي ق، فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا[٣٧١]﴾، فلما سألوا النبي ق هذه المسألة قال الله تعالى :﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ[٣٧٢]﴾ حين قالوا: ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فأنزل الله سبحانه يخبر أنه ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة، فقال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرونه). [٣٧٣]

الموضع الحادي والأربعون

قوله تعالى: ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ[٣٧٤]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن عذاب أهل النار غير مؤبد، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ[٣٧٥]﴾ وقوله: ﴿ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا[٣٧٦]﴾ . فما وجه التوفيق بين هذه الآيات وبين

---

[٣٧٠]() سورة النساء الآية ١٥٣.

[٣٧١]() سورة الإسراء الآية ٩٢.

[٣٧٢]() سورة البقرة الآية ١٠٨.

[٣٧٣]() الرد على الجهمية والزنادقة ص٩٥.

[٣٧٤]() سورة الأنعام الآية ١٢٨.

[٣٧٥]() سورة هود الآية ١٠٧.

[٣٧٦]() سورة النبأ الآية ٢٣.

قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا.[٣٧٧] ﴾

نقول وبالله التوفيق : معنى قوله: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: إلا من شاء الله عدم خلوده في النار، من أهل الكبائر من الموحدين، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها.. وهم أهل الكبائر، وغاية ما في هذا القول إطلاق (ما) وإرادة (من) ونظيره في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ[٣٧٨] ﴾. كما أنه يحتمل أن تكون المدة المستثناة، هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم، واستقرارهم في مصيرهم، قال ذلك ابن جرير[٣٧٩]. ثانيا : قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت آيات وأحاديث صحيحة، تصرح بأنهم خالدون فيها أبدا، أي الكفار، فيكون الظاهر خلود الكفار .. والظاهر مقدم على المجمل، كما تقرر في الأصول. أما بالنسبة لأهل الكبائر الموحدين وماتوا على التوحيد فخلودهم مؤقت، وقد ذكر العلماء أقولاً منها أن (إلا)، في سورة هود، بمعنى سوى ما شاء الله من الزيادة، على مدة السموات والأرض. وقال بعض العلماء الاستثناء على ظاهره، وأنه يأتي على النار زمان ليس فيها أحدٌ، فقد قال ابن مسعود: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون أحقابًا . وعن ابن عباس أنها تأكلهم بأمر الله [٣٨٠]. وقال الشنقيطي بعد قوله سابقًا (نقول وبالله التوفيق): والذي يظهر لي والله تعالى أعلم – أن هذه النار التي لا يبقى فيها أحد، يتعين حملها على الطبقة التي كان فيها عصاة المسلمين،

---

[٣٧٧]() سورة الأحزاب الآية ٦٥.

[٣٧٨]() سورة النساء الآية ٣ .

[٣٧٩]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨/ ٣٤.

[٣٨٠]() دفع إيهام الاضطراب ص .١٢٣ – ١٢٢

كما جزم به البغوي في تفسيره؛ لأنه يحصل به الجمع بين الأدلة، وإعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما. ونحن نقول: إن هذا الإيضاح والتفسير من أقوى الأدلة، فهو يصل إلى الجمع بين الآيات من أقرب طريق، والنار لا تفنى كما يقول البعض لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [٣٨١]﴾ . ويقول ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ما خلاصته: إن للعرب في معنى الأبد ألفاظاً يستعملونها في كلامهم يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، فقال الله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ويقولون: ما دامت السموات والأرض، يريدون لا أفعله أبداً؛ لأن هذه المعاني لا تتغير عندهم عن أحوالها، فخاطبهم الله بما يستعملونه ويكون المعنى خالدين فيها مدة العالم، سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم[٣٨٢]، وكل هذا يفيد عدم التعارض بين الآيات. والنار باقية كما أن نعيم الجنة باق أيضاً لقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [٣٨٣]﴾، و﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا [٣٨٤]﴾ . وكلما تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها، كما أن الكفار لا يموتون في النار لقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا [٣٨٥]﴾. كما أن إخراجهم من النار ينص القرآن على عدمه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [٣٨٦]﴾﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا [٣٨٧]﴾. من هذا يفهم أن النار لا تفنى وأن الكفار مخلدون فيها.

---

[٣٨١]() سورة الإسراء الآية ٩٧، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٢٤ بتصرف.

[٣٨٢]() ص ٧٦ بتصرف.

[٣٨٣]() سورة هود الآية ١٠٨.

[٣٨٤]() سورة الإسراء الآية ٩٧.

[٣٨٥]() سورة فاطر الآية ٣٦.

[٣٨٦]() سورة البقرة الآية ١٦٧.

[٣٨٧]() سورة السجدة الآية 20.

الموضع الثاني والأربعون

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ[388] ﴾ هذه المقالة التي قالها الكفار، هي بالنسبة إلى ذات الكلام صدق، لا شك فيه؛ لأنه تعالى قال: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ[389] ﴾ ، وقال ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ[390] ﴾ ، وقوله: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا[391] ﴾ ، ونظير آية الأنعام قوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ[392] ﴾ . فما وجه تكذيب الله تعالى لهم بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ[393] ﴾ . ونظير هذا الإشكال بعينه ما هو في سورة الزخرف، قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ[394] ﴾ . فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: إن مقالة الكفار هذه حق أريد به باطل، فتكذيب الله للكفار واقع على باطلهم الذي قصدوه بهذا الكلام الحق، وإيضاح القضية هذه، أن مراد الكفار أنهم

---

[388]() سورة الأنعام الآية ١٤٨.

[389]() سورة الأنعام الآية ١٠٧.

[390]() سورة الأنعام الآية ٣٥.

[391]() سورة السجدة الآية ١٣.

[392]() سورة الأنعام الآية ١٤٨.

[393]() سورة النحل الآية ٣٥.

[394]() سورة الزخرف الآية ٢٠.

لما كان كفرهم وعصيانهم بمشيئة الله، وأنه لو شاء لمنعهم من ذلك، فعدم منعه لهم دليل على رضاه بفعلهم، فكذبهم الله تعالى في ذلك مبيناً أنه تعالى لا يرضى من عباده الكفر لقوله في سورة الزمر: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[٣٩٥]. فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية يلزمها الرضى، وهو زعم باطل، بل الله يريد بإرادته الكونية ما لا يرضاه بدليل قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ مع قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾، والذي يلازم الرضى حقًّا إنما هو الإرادة الشرعية[٣٩٦]، ويمكن القول: بأن الله تعالى علم بعلمه الأزلي، أنهم لو خيروا وتركوا وشأنهم لاختاروا الكفر؛ لذلك كتبه عليهم، وختم على قلوبهم، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ[٣٩٧]﴾. ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير حول هذه القضية: «وحاصل هذه الحجة أنهم يحتجون على النبي ﷺ، بأن ما هم عليه لو لم يكن برضى الله لصرفهم عنه، ولما يسرّه لهم. يقولون ذلك لإبطال حكمه عليهم بالضلالة، وهذه شبهة من لا يفرق بين تصرف الله تعالى بالخلق والتقدير، وحفظ قوانين الوجود - وبين تصرفه بالأمر والنهي، فالأول تصرف التكوين، والثاني تصرف التكليف، وجهلوا أن الله قيض له دعاة إلى الخير، تنبهه إليه إن عرته غفلة، وزاد الإنسان مزية بأن منحه عقلاً، يمكنه من تغيير أحواله على حسب احتياجه، ووضع له في عقله وسائل الاهتداء إلى الخير والشر، لكن أهل الضلالة قد خلطوا بين مشيئة العباد ومشيئة الله، فلذلك رد الله عليهم قولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ

---

[٣٩٥]() آية ٧.

[٣٩٦]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٢٩ بتصرف كثير.

[٣٩٧]() سورة الأنعام الآية ٢٨.

﴿أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَآؤُنَا﴾ لأنهم جعلوا ما هو مشيئة لهم، مشيئة لله تعالى، ومع ذلك فهو قد أثبت مشيئته في قوله : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ..﴾ فهي مشيئة تكوين العقول وتكوين نظام الجماعة، فهذه المشيئة التي تذرعوا بها مشيئة خفية، لا تتوصل إلى الاطلاع على كنهها عقول البشر، فلذلك نعى الله عليهم استنادهم إليها، على جهلهم بكنهها فقال : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فشبه بتكذيبهم تكذيب المكذبين الذين من قبلهم، فكلامهم من باب كلام الحق الذي أريد به باطل. ثم أمر الله رسوله ق بأن يجيبهم عن مقالهم هذا بقوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ وجاء بالاستفهام المقصود منه الإفحام والتهكم، لما عرف من تشبثهم بمثل هذا الاستدلال[٣٩٨]. وبذلك نكون قد وفقنا بين الآيات، وأزلنا ما يمكن أن يكون إيهاماً للتعارض بينها .

الموضع الثالث والأربعون

قوله تعالى: ﴿ ۞قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا[٣٩٩]﴾.. الآية . تدل هذه الآية بظاهرها على أن الإحسان إلى الوالدين من المحرمات كالإشراك بالله، والواقع خلاف ذلك لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا[٤٠٠] ﴾ وغيرها من الآيات. وللعلماء في هذه الآية كلام كثير خلاصته : أن الكلام تم عند قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ وأن قوله: ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ اسم فعل يتعلق بما بعده، على أنه

٣٩٨– 146/ 8 () ١٤٩ بتصرف.

٣٩٩() سورة الأنعام الآية ١٥١.

٤٠٠() سورة النساء الآية ٢٦.

معموله، ومنه – أن ـ أن في قوله: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ ﴾ تفسيرية بمعنى (أي) ولكن هذا الرأي ينافي قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ معطوف عليه إلا إذا قلنا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ فيه حرف جر محذوف تقديره أي ولأن ﴿ هَٰذَا صِرَٰطِى ﴾ ، ومن الكلام أيضا أنه بمعنى أبينه لكم «لئلا تشركوا» ، وقد يكون قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ معمول لفعل محذوف تقديره – وأتل عليكم أن تحسنوا بالوالدين إحسانا . وعلى هذا فلا إشكال ولا إيهام.[٤٠١]

ويزيد أبو السعود المسألة إيضاحًا فيقول ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ .. ﴾إلخ «عليكم متعلق بحرم على كل حال أو بـ (أتل). والأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة، وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية، مع الإضافة إلى ضميرهم، لينتهوا عما نهوا عنه و ﴿ وَأَنَّ ﴾ في قوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ ﴾ مفسرة لفعل التلاوة المعلق بقوله (ما حرم). و(لا) ناهية كما يدل عليه عطف ما بعده، وليس ضروريًّا كون المعطوف تفسيراً لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه، وكون المعطوفات كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه، بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها، التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت هي به . فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده، بل هو عينه عند البعض، كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها، فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات، مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرمًا، دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور، فكأنه قال – أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا ، ولا تسيئوا إلى

[٤٠١]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٣٠. ، ١٢٩

الوالدين - وجيء بالإحسان إلى الوالدين بين المحرمات للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما»[٤٠٢]. وبذلك نكون قد وفقنا بين الآيات، وأزلنا شبهة إيهام التعارض.

سورة الأعراف - الموضع الرابع والأربعون

قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ [٤٠٣]﴾ تدل هذه الآية على أن الله تعالى سيسأل جميع الناس يوم القيامة، ونظير هذه الآية قوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [٤٠٤]﴾ ، وقوله: ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ [٤٠٥]﴾. وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك، منها قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ [٤٠٦]﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ [٤٠٧]﴾. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ تتلخص الإجابة في ما يلي:

أولاً: السؤال قسمان سؤال توبيخ وتقريع، وأداته في الغالب (لِمَ)؟ فالكلام المثبت من هذا الباب، وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالبًا (هل)؟. وذلك في المنفي. فالمثبت نحو﴿ وَقِفُوهُمْ﴾ ونحو﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ [٤٠٨]﴾، وقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ

---

[٤٠٢]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ١٩٨.

[٤٠٣]() سورة الأعراف الآية ٦.

[٤٠٤]() سورة الحجر الآيتان . ٩٣، ٩٢

[٤٠٥]() سورة الصافات الآية .٢٤

[٤٠٦]() سورة الرحمن الآية .٣٩

[٤٠٧]() سورة القصص الآية .٧٨

[٤٠٨]() سورة الملك الآية ٨.

رُسُلٌ مِّنكُمْ[٤٠٩]﴾ وغير ذلك.

ثانيا : هناك إجابة أخرى تتلخص في أن يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يسألون، وفي بعضها لا يسألون، فهو يوم مقداره ألف سنة مما تعدون، وفيه حين يعرضون يوقفون على ذنوبهم ويحاسبون، فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة، وتبين أهل الجنة من أهل النار، انقطع الكلام وذهب الخصام، وعندئذ لا سؤال ولا كلام. قال ابن عباس في قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ قال: هو موطن لا يسألون فيه .. ومثله قوله: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ [٤١٠]﴾ . وقال الزركشي في البرهان له: تحمل الآية ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل. وتحمل آية ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ [٤١١]﴾. وعلى أي وجه فلا تعارض. ولا تنافي بين الآيات، فيوم القيامة مواقف متعددة، ففي موضع يسأل فيه، وموقف يرحم ويلطف به، وآخر يعنف ويوبخ كالكفار .. إلخ والله أعلم.

الموضع الخامس والأربعون

قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ [٤١٢]﴾ تفيد هذه الآية تشبيه العصا بالثعبان، والثعبان لا يطلق إلا على الكبير من الحيات، وقد جاءت آيات أخرى

---

[٤٠٩]() سورة الأنعام الآية ١٣٠.

[٤١٠]() سورة القصص الآية ٧٨. وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٦٥ بتصرف، ودفع إيهام الاضطراب ص١٣١.

[٤١١]() سورة القصص الآية ٦٥، وانظر : البرهان في علوم القرآن ٢/ ٥٥.

[٤١٢]() سورة الأعراف الآية ١٠٧.

تدل على خلاف ذلك، منها قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾[٤١٣] لأن الجان هو الحية الصغيرة .. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: شبه العصا بالثعبان من حيث عظم خلقته، وشبهها بالجان في سرعة خفتها واهتزازها، فهي جامعة بين العظم وخفة الحركة، على خلاف العادة[٤١٤]. يقول أبو السعود: « فإذا هي ثعبان مبين - أي ظاهر لا شك فيه - في كونه ثعباناً وهو الحية العظيمة، وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب، وثبات وصف الثعبانية فيها، كأنها في الأصل كذلك»[٤١٥] . يقول ابن عطية : «روي أن موسى - عليه السلام - قلق به وبمحاورته فرعون، فقال فرعون لأعوانه : خذوه، فألقى موسى العصا فصارت ثعبانًا، وهمت بفرعون فهرب منها ، وقال السُّدي: إنه أحدث وقال :يا موسى كفه علي فكفه»[٤١٦] . وقال ابن عطية : «إن ظاهر الآية وغيرها أن موسى - عليه السلام - لم تنبنِ شريعته إلا على بني إسرائيل فقط، ولم يدع فرعون وقومه إلا إلى إرسال بني إسرائيل ويوحد، وذكره كما يذكر كل كافر؛ إذ كل نبي داع إلى التوحيد، وأما أنه دعاه ليلتزم بكل الشرع فلم يرد في هذا نص»[٤١٧]، وبذلك ينتفي إيهام التعارض.

الموضع السادس والأربعون

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ

---

[٤١٣]() سورة القصص الآية ٣١.

[٤١٤]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٣٤.

[٤١٥]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/ ٢٥٨.

[٤١٦]() المحرر الوجيز ٦/ ٢٧.

[٤١٧]() المرجع السابق .

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً[٤١٨]﴾ تفيد هذه الآية بظاهرها أن الله تعالى وعد موسى ثلاثين ليلة، ثم وعده بعد ذلك بعشر، فصارت أربعين، بينما جاءت آية البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً[٤١٩]﴾. فكيف التوفيق بينهما؟

نقول: قال الحسن البصري : «ليس المراد في آية الأعراف على ظاهره من أن الوعد كان ثلاثين ليلة، ثم بعد ذلك وعده بعشر ، وإنما وعده أربعين ليلة جميعًا. وقيل: تجري آية الأعراف على ظاهرها، من أن الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر، فاستقرت الأربعون، ثم أخبر في آية البقرة بما استقر»[٤٢٠]. وبذلك ينتفي إيهام التعارض.

الموضع السابع والأربعون

قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ[٤٢١]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن موسى – عليه السلام – أول المؤمنين، وقد جاءت آيات أخرى بخلاف ذلك، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ[٤٢٢]﴾ على أن السحرة أول المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ[٤٢٣]﴾ على أن

---

[٤١٨]() سورة الأعراف الآية ١٤٢.

[٤١٩]() سورة البقرة الآية ٥١.

[٤٢٠]() البرهان للزركشي ٢/ ٤٥ بتصرف.

[٤٢١]() سورة الأعراف الآية ١٤٣.

[٤٢٢]() سورة الشعراء الآية ٥١.

[٤٢٣]() سورة الأنعام الآيتان ١٦١، ١٦٣.

الرسول محمد ق أول المسلمين، فكيف جاء لكل واحد منهم أن تكون له الأولية، بينما سبقه آخرون؟ فما وجه التوفيق بين الآيات؟

نقول : قال الإمام أحمد : (وأما قول موسى:﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنه حين قال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي [٤٢٤] ﴾ ولا يراني أحد في الدنيا إلا مات، ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ [٤٢٥] ﴾ يعني أول المصدقين، أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات .

وأما قول السحرة : ﴿ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني أول المصدقين بموسى من أهل مصر من القبط. وأما قول النبي ق: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ يعني من أهل مكة).[٤٢٦]

ونخلص إلى القول بأن الآية الأولى: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ مقيدة بالسياق، فإنها في قول موسى – عليه السلام – تحتمل ما يأتي:

﴿ –1وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بك فيما تنزله عليَّ من شريعة وما تأمرني به.

﴿–٢وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بعظمتك وأنه لا يراك أحد.

٣–﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بك إيمانـًا لا أعتقد، أن أحداً آمن بمثله من قبل... أي من حيث الدرجة.

﴿–4وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من قومي وأهلي.

---

[٤٢٤]() سورة الأعراف الآية ١٤٣.

[٤٢٥]() سورة الأعراف الآية ١٤٣.

[٤٢٦]() الرد على الجهمية والزنادقة ص ٩٥ ، ٩٦ .

وفي الآية الثالثة : بالنسبة لمحمد ق:

﴿ -1وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بشريعتك الخاتمة التي تنزلها عليَّ.

﴿ - ٢وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ إسلاماً مبرّأً من كل شرك، ونقص وخروج عن الجادة، كما هو في إسلام اليهود والنصارى، الذين خلطوا شريعة أنبيائهم بما أخرجها عن الإسلام.

﴿ -3وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي أكثر المسلمين إسلاماً وأحسنهم وأقواهم، وهذا شأن النبي الخاتم .

﴿ -4وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بك من قومي . وبذلك ينتفي إيهام التعارض.

سورة الأنفال - الموضع الثامن والأربعون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ [٤٢٧]﴾... هذه الآية تدل على أن وجل القلوب يكون عند سماع ذكر الله، ويكون من علامات الإيمان، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك، وهي قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ [٤٢٨]﴾ . فالمنافاة، الإيهام الواضح بين الطمأنينة ووجل القلوب، فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟

نقول : تكون الطمأنينة بانشراح الصدر، بمعرفة التوحيد والإقرار بوحدانيته تعالى، ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً. والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ

---

[٤٢٧]() سورة الأنفال الآية .٢

[٤٢٨]() سورة الرعد الآية .٢٨

ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ[٤٢٩]﴾ . وقوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ...رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا[٤٣٠]﴾ وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ[٤٣١]﴾ . يقول ابن عطية ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي: الكاملون، ﴿ وَجِلَتۡ ﴾ فزعت ورقت وخافت، والآية ظاهرها أنها للمبالغة والتأكيد فقط[٤٣٢]. وبذلك يرتفع الإيهام.

الموضع التاسع والأربعون

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ[٤٣٣]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الاستجابة للرسول – التي هي طاعته – لا تجب إلا إذا دعانا لما يحيينا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٍ[٤٣٤]﴾ . وقد جاءت آيات أخر تدل على وجوب اتباعه، وطاعته، مطلقة، بدون قيد، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ[٤٣٥]﴾. وقوله تعالى في آل عمران: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ[٤٣٦]﴾ وفي النساء قوله تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ[٤٣٧]﴾. فما وجه التوفيق بين هذه

---

[٤٢٩]() سورة الزمر الآية . ٢٣

[٤٣٠]() سورة آل عمران الآية ٨.

[٤٣١]() سورة المؤمنون الآية ٦٠، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٣٥.

[٤٣٢]() المحرر الوجيز ٦/ ٢١٦.

[٤٣٣]() سورة الأنفال الآية .٢٤

[٤٣٤]() سورة الممتحنة الآية .١٢

[٤٣٥]() سورة الحشر الآية ٧.

[٤٣٦]() آية ٣١.

[٤٣٧]() آية ٨٠.

الآيات؟

نقول: إن آيات الإطلاق مبينة أنه ق لا يدعونا إلا لخيري الدنيا والآخرة، فقوله: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ موجودة في كل دعوة له وفي كل أمر، وفي كل نهي، وذلك لعصمته، فقوله: ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ دعوة إلى كل ما يرضي الله، وأما الآيات الأخرى فبينت أنه - عليه الصلاة والسلام - لا يدعو إلا لما فيه رضى الله تعالى.[٤٣٨]

يقول ابن عطية : الآية خطاب للمؤمنين المصدقين ، وقوله: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه .. وهذا إحياء مستعار ؛ لأنه من موت الكفر والجهل، وقوله: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ وقيل معناه : للحرب والجهاد للعدو، فهو يحيى بالعزة والغلبة والظفر؛ فسمي ذلك حياة ، وقال النقاش: المراد إذا دعاكم للشهادة[٤٣٩]. وبذلك ينتفي الإيهام.

الموضع الخمسون

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾[٤٤٠] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن لكفار مكة أمانين من العذاب، كونه ق بين أظهرهم، ولم يهلك الله أمة ونبيهم فيهم، ثم استغفارهم الله. وجاءت آية تقول: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ[٤٤١] ﴾ تدل على

---

[٤٣٨]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٣٥.

[٤٣٩]() المحرر الوجيز ٦/ ٢٥٧.

[٤٤٠]() سورة الأنفال الآية .٣٣

[٤٤١]() سورة الأنفال الآية ٣٤.

خلاف ذلك، وللتوفيق بين الآيتين وإزالة ما يوهم التعارض نقول :

أولاً : لا أمانين لهم؛ لأن رسول الله ق خرج من بين أظهرهم، كما أنهم لم يستغفروا لكفرهم، ومن ثم عذبوا بالقتل والأسر يوم بدر، كما يشير إلى ذلك قوله: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ.[٤٤٢] ﴾

ثانيـًا: المراد من الاستغفار: استغفار المؤمنين المستضعفين بمكة، وذلك يدل على أن استغفار المؤمنين كان هو السبب في عدم وقوع العذاب بأهل مكة، المستعجلين له بقولهم ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ[٤٤٣] ﴾ وعلى هذا يكون إسناد الاستغفار لمجموع أهل مكة الصادق بخصوص المؤمنين منهم . ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ[٤٤٤] ﴾ مع أن العاقر واحد فقط بدليل قوله: ﴿ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ[٤٤٥] ﴾ . فعلى هذا يكون دفع العذاب الدنيوي عنهم باستغفار المؤمنين الكائنين بين أظهرهم. أما قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الآية أي بعد خروج المؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، فبعد خروج هؤلاء المؤمنين من مكة عذَّب الله أهل مكة في الدنيا. ومما يدلل على صحة ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[٤٤٦] ﴾

---

[٤٤٢]() سورة السجدة الآية .٢١

[٤٤٣]() سورة الأنفال الآية .٣٢

[٤٤٤]() سورة الأعراف الآية .٧٧

[٤٤٥]() سورة القمر الآية ٢٩.

[٤٤٦]() سورة الفتح الآية ٢٥. دفع إيهام الاضطراب ص ١٣٦. بتصرف.

وخلاصة القول : أنهم لا يعذبون ورسول الله بين أظهرهم، أو بعد خروجه، وفيهم مؤمنون – وهم المعنيون بالاستغفار ، ثم عذبوا بعد خروج المؤمنين من مكة العذاب الدنيوي، وبذلك يتم التوفيق بين الآيات.

سورة التوبة - الموضع الحادي والخمسون

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ[٤٤٧] ﴾ . وبيان ذلك أن المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية، هي أشهر المهلة المنصوص عليها في قوله: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ[٤٤٨] ﴾ وليس المراد الأشهر الحرم التي هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، على الصحيح؛ وذلك لقول ابن عباس وآخرين، واستحسنه ابن كثير لدلالة سياق القرآن عليه[٤٤٩]، خلافاً لابن جرير[٤٥٠]. وعلى ذلك فالآية تدل بعمومها على قتال الكفار، في الأشهر الحرم المعروفة، بعد انقضاء أشهر الإمهال الأربعة، وقد جاءت آيات أخر تدل على عدم القتال فيها: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ .[٤٥١] ﴾

وللتوفيق بين الآيات، وإزالة ما يوهم التعارض، نقول : قال الشنقيطي : إن

---

[٤٤٧]() سورة التوبة الآية ٥.

[٤٤٨]() سورة التوبة الآية ٢.

[٤٤٩]() تفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٠.

[٤٥٠]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/ ١٣٤.

[٤٥١]() سورة التوبة الآية ٣٦.

تحريم الأشهر الحرم، منسوخ بعموم آيات السيف. ومن يقول بعدم النسخ يقول هو مخصص لها، والظاهر أن الصحيح كونها منسوخة. وذلك لفعل النبي ق في حصاره لثقيف، في الشهر الحرام، الذي هو ذو القعدة، فقد ثبت في الصحيحين أنه - عليه الصلاة والسلام - خرج إلى هوازن في شوال، فلما كسرهم واستفاء أموالهم، ورجع، لجؤوا إلى الطائف، فحاصرهم فيها أربعين يومًا، وانصرف ولم يفتحها[٤٥٢]، فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام، وعلى ذلك يكون قوله: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ناسخًا لقوله .. ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ ولقوله: ﴿ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ[٤٥٣] ﴾ وقوله: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ[٤٥٤] ﴾ والمنسوخ من هذه ومن قوله: ﴿ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ تحريم الشهر في الأولى، والأشهر في الثانية فقط دون ما تضمنتاه من الخبر، لأن الخبر لا يجوز نسخه شرعًا.[٤٥٥]

الموضع الثاني والخمسون

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ .. إلى قوله .. ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ[٤٥٦] ﴾ تنص هذه الآية صراحة على أن كفار أهل الكتاب مشركون، لقوله: ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بعد أن بين وجوه

---

[٤٥٢]() صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين ٢/ ١٤٠١ ، ١٤٠٢.

[٤٥٣]() سورة المائدة الآية ٢.

[٤٥٤]() سورة البقرة الآية ١٩٤.

[٤٥٥]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٤٤ وما بعدها بتصرف

[٤٥٦]() سورة التوبة الآية ٣٣.

شركهم في الآية، بجعلهم الأولاد لله، والأحبار أربابًا من دون الله، ونظير هذه الآية قوله في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ[٤٥٧]﴾ ولإجماع العلماء على أن كفار أهل الكتاب داخلون فيها، وقد جاءت آيات أخر، تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين، كقوله: ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ[٤٥٨]﴾ وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ[٤٥٩]﴾ وللتوفيق بين الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول:

إن وجه الجمع: أن الشرك الأكبر المقتضي للخروج من دين الإسلام، أو من الملة أنواع، منها عبادة الأوثان وهو ما اتصف به كفار مكة صريحة، وهذا النوع من الشرك لم يتصف به أهل الكتاب، لذا عطفهم على كفار مكة، من حيث هذه المغايرة، وذلك لا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركين بنوع آخر، كطاعتهم للشيطان، والأحبار، فمصوِّب فعل هؤلاء يكون عابدًا لهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ[٤٦٠]﴾ أي: لا تطيعوه، وكقوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ[٤٦١]﴾ .. وغير ذلك كثير، فإن أهل الكتاب مشركون من حيث طاعتهم للشيطان، والأحبار، والرهبان؛ لذا فلا تنافي ولا تعارض بين الآيات..

---

[٤٥٧]() لآية ١١٦.

[٤٥٨]() سورة البينة الآية ١.

[٤٥٩]() سورة البقرة الآية ١٠٥.

[٤٦٠]() سورة يس الآية ٦٠.

[٤٦١]() سورة مريم الآية ٤٤ ، انظر: دفع إيهام الاضطراب ص147 – 146 بتصرف.

الموضع الثالث والخمسون

قوله تعالى: ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ[462]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على الخروج للجهاد في سبيل الله، للمسلمين عامة، وعلى كل حال، وقد جاءت آيات أخرى، تدل على خلاف ذلك. كقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ[463]﴾ . وقوله في ذات السورة: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً[464] ﴾ وللتوفيق بين الآيات نقول : إن آية ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا ﴾ .. إلخ منسوخة بآيات العذر المذكورة، وهذا الموضع من المواضع التي نسخ فيه الناسخ؛ لأن قوله: ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا ﴾ ناسخ لآيات الإعراض عن المشركين، وهو منسوخ بآيات العذر[465]. يقول أبو السعود: ما خلاصته : (انفروا) تجريد للأمر بالنفور على أي حال، وقال: وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ق: أعلي أن أنفر؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم، حتى نزل ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ[466]﴾ وعن ابن عباس نسخت بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ[467]﴾ . وقال ابن عطية حول قوله تعالى: ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا ﴾ الآية، وهذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ق بالنفير، فقال بعض الناس:

---

[462]() سورة التوبة الآية ٤١.

[463]() سورة التوبة الآية ٩١ .

[464]() سورة التوبة الآية .١٢٢

[465]() دفع إيهام الاضطراب ص١٤٧ ، ١٤٨.

[466]() سورة الفتح الآية ١٧.

[467]() إرشاد العقل السليم ٤/ ٥٩.

هذا أمر عام لجميع الناس، فتعين به الفرض على الأعيان في تلك المدة، ثم نسخه الله بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ﴾ ، وقال جل الناس: بل هذا حضٌّ، والأمر نفسه موقوف على فرض الكفاية، ولم يقصد بالآية فرضه على الأعيان [٤٦٨] . وبذلك يتم التوفيق ويزول ما يوهم التعارض.

سورة يونس - الموضع الرابع والخمسون

قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ [٤٦٩] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الكفار يرجون شفاعة أصنامهم يوم القيامة، وقد جاءت آيات أخرى تدل على إنكارهم ليوم القيامة، كقوله: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ [٤٧٠] ﴾ وقوله: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ [٤٧١] ﴾ وقوله: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ [٤٧٢] ﴾ وقوله: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ [٤٧٣] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟

نقول: إن الكفار يرجون شفاعة الأصنام في الدنيا لإصلاح معاشهم، وفي الآخرة على تقدير وجودها؛ لأنهم شاكون في وجودها لقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

---

[٤٦٨]() المحرر الوجيز ٦/ ٥٠١.

[٤٦٩]() سورة يونس الآية .١٨

[٤٧٠]() سورة المؤمنون الآية . ٨٢

[٤٧١]() سورة الدخان الآية ٣٥ .

[٤٧٢]() سورة الأنعام الآية .٢٩

[٤٧٣]() سورة يس الآية . ٧٨

شُفَعَآءَكُمْ[474]﴾ ويدل لذلك قوله تعالى على لسان الكافر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ[475]﴾ وقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا[476]﴾ وذلك لأن إن الشرطية تدل على الشك في حصول الشرط، ويدل لذلك قوله في الآيتين: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً[477]﴾ يقول ابن عطية: « قولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو مذهب النبلاء منهم، فأمر الله رسوله - عليه الصلاة والسلام - أن يقررهم ويوبخهم، أهم يُعْلِمُون الله بأنباء من السموات والأرض لا يعلمها هو؟[478]. وقد كان الكفار يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ[479]﴾ وبذلك يتم التوفيق، ويزول ما يوهم التعارض، فلكل آية معنى خاص بها.

الموضع الخامس والخمسون

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ[480]﴾ في هذه الآية نص على أن هذا الدعاء من موسى - عليه السلام – وحده، بينما قال الله في آية أخرى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا[481]﴾ فكيف التوفيق بينهما ؟

---

[474]() سورة الأنعام الآية ٩٤.

[475]() سورة فصلت الآية ٥٠ .

[476]() سورة الكهف الآية ٣٦.

[477]() سورة الكهف الآية ٥٠، وسورة فصلت الآية ٥٠، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٤٩.

[478]() المحرر الوجيز ٧/ ١٢١.

[479]() سورة الزمر الآية ٣.

[480]() سورة يونس الآية ٨٨.

[481]() سورة يونس الآية ٨٩.

نقول: الداعي موسى وأمّن هارون. والمؤمن كالداعي، لذا جمع الله بينهما. قاله ابن كثير وآخرون [٤٨٢] وبهذا استدل على أن قراءة الإمام تكفي المأموم، إذا أمن له على قراءته؛ لأن تأمينه بمنزلة قراءته[٤٨٣] ، أو لأن الرسالة أصلاً لموسى، وهارون وزيره، لذا كان الداعي موسى.

الموضع السادس والخمسون

قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ [٤٨٤] ﴾ تفيد هذه الآية مخاطبة رسول الله ق.. لكن المراد غيره من المتشككين؛ لأن القرآن نزل على رسول الله ق بمذاهب العرب كلها، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره [٤٨٥] . يقول أبو السعود ما خلاصته: « فإن كنت في شك – أي في شك ما – يسير على الفرض والتقدير، فإن مضمون الشرطية – إن – إنما هو تعليق شيء بشيء، من غير تعرض لإمكان شيء منهما، كيف لا، وقد يكون كلاهما ممتنعاً، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ [٤٨٦] ﴾ وقوله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [٤٨٧] ﴾ ونظائر هذه الآيات كثيرة . ومراد الآية إظهار نبوته – عليه الصلاة والسلام – بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم لا تجويز صدور الشك منه ق، لذا قال عليه الصلاة والسلام : لا أشك ولا

---

[٤٨٢]() تفسير ابن كثير ٢/ ٤٦٠.

[٤٨٣]() المرجع السابق، ودفع إيهام الاضطراب ص ١٥٠.

[٤٨٤]() سورة يونس الآية ٩٤ .

[٤٨٥]() تأويل المشكل لابن قتيبة ص . ٨١

[٤٨٦]() سورة الزخرف الآية ٨١.

[٤٨٧]() سورة الزمر الآية ٦٥ .

أسأل [488] . وقيل: الخطاب لمؤمني أهل الكتاب، كعبدالله ابن سلام، وكعب، وتميم الداري، وأضرابهم، وقيل: الخطاب للنبي ق والمراد أمته، أو لكل من يسمع، وفيه تنبيه على أن من خالجته شبهة في الدين فعليه أن يسارع إلى أهل العلم »[489]. ويقول ابن عطية : «الجمهور على أن – إن – شرطية، والصواب في معنى الآية أنها مخاطبة للنبي ق، والمراد سواه من كل من يمكن أن يشك أو يعارض. وقال قوم: الكلام بمنزلة قولك: إن كنت ابني فبرني»[490] وبه قال أبو حيان في تفسيره[491]، وبهذا يتم التوفيق والجمع بين الآيات.

سورة هود - الموضع السابع والخمسون

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ [492]﴾ هذه الآية تصرح بأن الكافر يجازى بحسناته في الدنيا، من أعمال الخير دون الآخرة؛ لأنه تعالى قال : ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا﴾ أي في الدنيا، ثم نص على بطلان أعمالهم في الآخرة بقوله: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ [493] ﴾ . ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا

---

[488]() الدر المنثور ٤/ ٣٨٩.

[489]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤/ ١٧٥.

[490]() المحرر الوجيز ٧/ ٢١٧.

[491]() تفسير البحر المحيط ٥/ ١٩١.

[492]() سورة هود الآية ١٥.

[493]() سورة هود الآية ١٦.

نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ [٤٩٤]﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا [٤٩٥]﴾ . كما جاءت آيات أخرى، تدل على بطلان عمل الكافر من أصله، بل وبطلانه في الدنيا وفي الآخرة، كما هو الحال في كفر الردة، فمن الآيات الدالة على بطلانه من أصله، قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ [٤٩٦]﴾ وآية الفرقان : ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا [٤٩٧] ﴾ . ومن الآيات الدالة على بطلان عملهم في الدنيا والآخرة قوله:﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ [٤٩٨]﴾ وغير ذلك من الآيات. فما وجه التوفيق والجمع بين هذه الآيات؟

هناك من الكفار من يجازيه الله على عمل الخير له في الدنيا، بإعطائه مالاً وأولادًا.. وغير ذلك من نعم الدنيا لقوله تعالى : ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ [٤٩٩]﴾ . ونفس النص يفيد أنه لا جزاء طيب لهم في الآخرة، لأنها للمتقين، ومن الكفار من لا يثيبه في الدنيا على عمل، لقوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن

---

[٤٩٤]() سورة الشورى الآية ٢٠.

[٤٩٥]() سورة الأحقاف الآية ٢٠.

[٤٩٦]() سورة إبراهيم الآية ١٨.

[٤٩٧]() سورة الفرقان الآية ٢٣.

[٤٩٨]() سورة البقرة الآية ٢١٧.

[٤٩٩]() سورة الزخرف الآيات ٣٣ . 35 –

نُّرِيدُ[500]﴾ فهذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى في بعض الكفار: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ[501]﴾ وجمهور العلماء على حمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد، أو أن أعمالهم في الدنيا باطلة، ولا يعتد بها شرعا؛ لأنها غير مقبولة مادامت مجردة عن الإيمان، أما مطلق النفع الدنيوي فهو عند الله كلا شيء[502] قال ابن عطية في المحرر: « في قوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا .. ﴾ الآية قالت فرقة: ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الكفرة، قاله قتادة والضحاك، وقال مجاهد: هي في الكفرة، وفي أهل الرياء من المؤمنين، وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ق قال: «هي في الرجل المتصدق والمجاهد المقتول والقائم بالقرآن ليله ونهاره، وكل ذلك رياء، أنهم أول من تُسَعَّر به النار يوم القيامة [503]، ولما سمع معاوية ذلك بكى وقال صدق الله ورسوله وتلا: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ..﴾ إلى قوله: ﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [504] ﴾ وبذلك يتم التوفيق بين الآيات، ويزول ما يوهم التعارض.

الموضع الثامن والخمسون

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا[505] ﴾ تدل هذه الآية

---

[500]() سورة الإسراء الآية ١٨.

[501]() سورة الحج الآية ١١.

[502]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٥١ – ١٥٤ بتصرف

[503]() الحديث رواه الترمذي في سننه من حديث طويل. انظر: سنن الترمذي ٤/ ٥٩١ح ٢٣٨٢ ، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

[504]() المحرر الوجيز ٧/ ٢٥٣.

[505]() سورة هود الآية ٦٩.

الكريمة بظاهرها على أن إبراهيم – عليه السلام – رد السلام على الملائكة، بينما جاءت آية أخرى تفيد أنه وجل، ولم يرد السلام لقوله في سورة الحجر: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٠٦)﴾ وللتوفيق بين هذه الآيات نقول : إن الخليل – عليه السلام – أجاب الملائكة برد السلام، وبأنه وجل منهم أيضاً، فذكر أحدهما في هود، والآخر في الحجر، يشير إلى صحة هذا التوفيق قوله في الذاريات: ﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٥٠٧)﴾ فقوله : ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ فيه دلالة أنه كان وجلاً منهم، وقوله: ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً (٥٠٨) ﴾ وفي الذاريات ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً (٥٠٩)﴾. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير «قال ابن عطية حيا الخليل بأحسن مما حُيّي به، أي نظراً إلى الأدب الإلهي، الذي علمه لنا القرآن ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا (٥١٠)﴾ والسلام : التحية، فقد رد إبراهيم السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل، زيادة في الإكرام . وبذلك يتم التوفيق، وينتفي التعارض.

الموضع التاسع والخمسون

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ (٥١١)﴾ المشار إليه في قوله : ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ – هو اختلاف الناس إلى شقي وسعيد، ولذلك الاختلاف خلقهم، فسبحانه خلق خلقاً للجنة، وخلق خلقاً للنار ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

٥٠٦() سورة الحجر الآية ٥٢ .

٥٠٧() سورة الذاريات الآية ٢٥.

٥٠٨() سورة هود الآية . ٧٠

٥٠٩() سورة الذاريات الآية . ٢٨

٥١٠() سورة النساء الآية ٨٦، وانظر: ١٢/ ١١٦.

٥١١() سورة هود الآيتان .١١٩، ١١٨

وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[٥١٢] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٥١٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾[٥١٤] . وأخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – «ثم يبعث الله إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد»[٥١٥]. وروى مسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها –« يا عائشة إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً – وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً، وهم في أصلاب آبائهم»[٥١٦]. وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[٥١٧]. وفي الصحيحين أيضاً من حديث عمران بن حصين – رضي الله عنه – أن رسول الله ق قال: « كل امرئ ميسر لما خلق له»[٥١٨].. وإذا تقرر أن قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ معناه خلق البعض شقيًّا وخلق البعض سعيدًا، كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ﴾[٥١٩] فما وجه التوفيق بين هذه الآيات وهذه الأحاديث مع قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

[٥١٢]() سورة الشورى الآية ٧ .

[٥١٣]() سورة الشورى الآية ٨ .

[٥١٤]() سورة الأعراف الآية ١٧٩.

[٥١٥]() أخرجه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم ٤/ ١٦١ ، ومسلم في القدر ٣/ ٢٠٣٦ ح ٢٦٣٤.

[٥١٦]() أخرجه مسلم في القدر، باب معنى «كل مولود يولد على الفطرة» ٣/ ٢٠٥٠ ح٢٦٦٢.

[٥١٧]() أخرجه مسلم في القدر، باب حجاج آدم و موسى ـ عليهما السلام ـ ٣/ ٢٠٤٤ ح ٢٦٥٣.

[٥١٨]() أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى : «ولقد يسرنا القرآن للذكر»، ومسلم في القدر، باب كيفية خلق الآدمي ٣/ ٢٠٤١ح٢٦٤٩.

[٥١٩]() سورة التغابن الآية ٢ .

وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ .[٥٢٠]﴾

نقول : أولاً – الحكمة المقصودة من الخلق هي عبادته – عز وجل – وهي متحققة في السعداء، يشير إلى ذلك قوله: ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ[٥٢١]﴾ وغاية ما يترتب على هذا الوجه، أنه أطلق المجموع، وأراد البعض. ويقول ابن عطية عند قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ : اختلف الناس في معناه، مع إجماع أهل السنة، على أن الله تعالى لم يرد أن تقع العبادة من الجميع؛ لأنه لو أرادها لم يصح أن يقع الأمر بخلاف إرادته ، فقال علي بن أبي طالب وابن عباس، المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية ، وقال زيد بن أسلم وسفيان : المعني خاص، والمراد وما خلقت الطائعين من الجن والإنس إلا لعبادتي ، وقال ابن عباس أيضا ليعبدون: ليتذللوا لي ولقدرتي. وعلى هذا فجميع الجن والإنس عابد متذلل. والكفار كذلك. فهم يتذللون عند المحن[٥٢٢]. وعلى ذلك يتم التوفيق، ويزول إيهام التعارض.

ثانيا: ما روي عن ابن عباس أيضـًا واختاره ابن جرير، أن معنى قوله: ﴿ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾أي: إلا ليقرّوا بالعبودية طوعـًا وكرهـًا.[٥٢٣]

ثالثا : وقد يكون المراد بقوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ ﴾ الإرادة الكونية القدرية، والمراد بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ الإرادة الشرعية الدينية، فبين

---

[٥٢٠]() سورة الذاريات الآية ٥٦.

[٥٢١]() سورة الأنعام الآية ٨٩.

[٥٢٢]() المحرر الوجيز ١٤/ ٤٠.

[٥٢٣]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧/ ١٢.

قوله: ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ، وقوله :﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا ﴾ الآية، أنه أراد بإرادته الكونية القدرية، صيرورة قوم إلى السعادة، وآخرين إلى الشقاوة، وبين بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أنه أراد العبادة بإرادته الشرعية الدينية، من الجن والإنس، فيوفق من شاء بإرادته الكونية، فيعبده، ويخذل من شاء، فيمتنع عن العبادة، ووجه دلالة القرآن على هذا بينه تعالى بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٥٢٤] فعمم الإرادة الشرعية بقوله : ﴿ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ وبين التخصيص في الطاعة بالإرادة الكونية، بقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فالدعوة عامة والتوفيق خاص. فالإرادة الكونية أعم مطلقًا؛ لأن كل مراد شرعا يتحقق وجوده في الخارج إذا أريد كونـًا وقدراً، كإيمان أبي بكر، وليس يوجد ما لم يرد كونـًا وقدرًا، ولو أريد شرعـًا كإيمان أبي لهب. فكل مراد شرعي حصل بالإرادة الكونية، وليس كل مراد كوني حصل مرادًا في الشرع ، وأما بالنسبة إلى تعلق الإرادتين بعبادة الإنس والجن لله تعالى، فالإرادة الشرعية أعم مطلقًا، والإرادة الكونية أخص مطلقـًا؛ لأن كل فرد من أفراد الجن والإنس أراد الله منه العبادة شرعـًا، ولم يردها من كلهم كونـًا وقدرًا. فتعم الإرادة الشرعية عبادة جميع الثقلين، وتختص الإرادة الكونية بعبادة السعداء منهم[٥٢٥]. يقول أبو السعود: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: في الحق أي: مخالفين له ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ إلا قومـًا هداهم الله بفضله إلى الحق، فاتفقوا عليه ولم يخالفوه ﴿ وَلِذَٰلِكَ ﴾ ولما ذكر من الاختلاف ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ أي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون. فاللام للعاقبة –

---

[٥٢٤]() سورة النساء الآية ٦٤.

[٥٢٥]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٥٩ بتصرف.

أو للترحم - فالضمير للناس كافة في خلقهم .[٥٢٦]

سورة يوسف - الموضع الستون

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ[٥٢٧]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن بعض الأنبياء ربما بعث من البادية، بما في ذلك يعقوب - عليه السلام -، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ[٥٢٨]﴾ فما وجه التوفيق بين هاتين الآيتين:

أولاً: قد يكون يعقوب - عليه السلام - في الحضر، ثم انتقل إلى البادية بعد ذلك داعيًا البدو، وقد يكون المراد من البدو ما كان منه مستندًا إلى الحضر، فهو في حكمه.[٥٢٩]

ثانيًا: لا مانع أن يرسل الله رسلاً من أهل البادية، وتكون كل آية على ظاهرها، فقد قال ابن عاشور في التحرير والتنوير «فلا دلالة في قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ على نفي إرسال رسول من أهل البادية، مثل يعقوب - عليه السلام - ، حين كان ساكنا في البدو»[٥٣٠] وعلى أي وجه فلا تنافي بين الآيات، ولا تعارض. قال ابن عطية ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ وكان منزل يعقوب - عليه السلام - بأطراف الشام في بادية فلسطين، وكان رب إبل وغنم وبادية»[٥٣١]. وبذلك يتم التوفيق،

---

[٥٢٦]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٤/ ٢٤٨.

[٥٢٧]() سورة يوسف الآية ١٠٠.

[٥٢٨]() سورة يوسف الآية ١٠٩.

[٥٢٩]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٦٢.

[٥٣٠]() التحرير والتنوير ١٣/ ٦٨.

[٥٣١]() المحرر الوجيز ٨ / ٨٣.

وينزه القرآن عن التنافي.

سورة الرعد - الموضع الحادي والستون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [٥٣٢] ﴾ . تدل هذه الآية بظاهرها على أن لكل قوم هاديًا، وقد جاءت آيات أخرى تقول: إن بعض الأقوام لم يكن لهم هادٍ، من ذلك قوله: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ [٥٣٣] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [٥٣٤] ﴾ وقوله: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [٥٣٥] ﴾ وغير ذلك من الآيات، التي يفيد ظاهرها أن هؤلاء ليس لهم هاد، بالمعنى الخاص، أو ليس لهم هاد، بالمعنى العام نحو ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ [٥٣٦] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ [٥٣٧] ﴾ فالذين ماتوا في هذه الفترة لم يكن لهم هاد بالمعنى الأعم، فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

أولاً: قد يكون معنى قوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي داع يدعوهم، إما إلى خير كالأنبياء، وإما إلى شر كالشياطين، وأنت يا محمد داع إلى كل خير، شأن كل الأنبياء قبلك ؛ ذكر هذا المعنى ابن عباس [٥٣٨] واستعمل الهدي في الشر كما جاء

---

[٥٣٢]() سورة الرعد الآية ٧.

[٥٣٣]() سورة الأنعام الآية ١١٦.

[٥٣٤]() سورة غافر الآية ٥٩.

[٥٣٥]() سورة يوسف الآية ١٠٣.

[٥٣٦]() سورة يس الآية ٦ .

[٥٣٧]() سورة المائدة الآية ١٩.

[٥٣٨]() جامع البيان عن تأويل آيات القرآن ١٦/ ٣٥٧، ٣٥٨.

في قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ [٥٣٩] ﴾ وقوله: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ [٥٤٠] ﴾ كما جاءت آيات قرآنية أطلقت على داعي الشر أنه إمام، في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ [٥٤١] ﴾

ثانيـًا: وقد يكون المعنى أنت يا محمد منذر، وأنا الهادي لكل قوم، يشير إلى ذلك قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ [٥٤٢] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ [٥٤٣] ﴾

ثالثـًا: قد يكون المراد من القوم الأمة، والمراد بالهادي النبي، فيكون معنى قوله: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أي: ولكل أمة نبي، كقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ [٥٤٤] ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ [٥٤٥] ﴾ فكثيراً ما يطلق القرآن اسم القوم على الأمة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ [٥٤٦] ﴾ وقوله : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ [٥٤٧] ﴾ وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا فالمراد بالقوم في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ أعم من مطلق ما يصدق عليه اسم القوم

---

[٥٣٩]() سورة الحج الآية ٤.

[٥٤٠]() سورة الصافات الآية ٢٣.

[٥٤١]() سورة القصص الآية ٤١ .

[٥٤٢]() سورة القصص الآية ٥٦.

[٥٤٣]() سورة النحل الآية ٣٧، وانظر: المحرر الوجيز ٨/ ١٢٦ وما بعدها، و تفسير ابن كثير ٢/ ٥٤٠.

[٥٤٤]() سورة فاطر الآية ٢٤.

[٥٤٥]() سورة يونس الآية ٤٧ .

[٥٤٦]() سورة الأعراف الآية ٥٩.

[٥٤٧]() سورة الأعراف الآية ٦٥.

لغة؛ يشير إلى ذلك حديث معاوية بن حيدة القشيري – رضي الله عنه – مرفوعـًا «أنتم توفون سبعين أمة»[548] .. الحديث. ومعلوم أن ما يطلق عليه اسم القوم للغة أكثر من سبعين بأضعاف.

وحاصل هذا الوجه أن الآية كقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ .. وقوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ وعلى ذلك فلا إشكال، فآباء القوم الذين لم ينذروا المذكورون في قوله ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ ليسوا أمة مستقلة، بل هم بعض أمة، وقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ لا يشكل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا[549]﴾ لأن المعنى أرسلنا إلى جميع القرى، بل إلى الناس عامة، محمدا ق، لعموم رسالته، وهذا أقرب الوجوه [550]، وعليه فلا تعارض ولا تنافي بين الآيات. وفي التحرير والتنوير يقول ابن عاشور :﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾: «تذييل بالأعم أي إنما أنت منذر لهؤلاء، ولكل قوم هاد، أرسله الله لينذرهم لعلهم يهتدون»[551] . ويقول ابن عطية في المحرر : « قال عكرمة المراد بالهادي محمد ق، وهاد عطف على منذر، كأنه قال إنما أنت منذر وهاد .. وذلك يجري مع قوله ق: بعثت إلى الأحمر والأسود[552]. وقال مجاهد إنما أنت منذر، ولكل أمة سلفت هاد، أي نبي يدعوهم»[553]. وعلى كل وجه فلا تعارض.

---

[548]() سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٣٣، ومسند الإمام أحمد ٤/ ٤٤٧.

[549]() سورة الفرقان الآية ٥١.

[550]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٦٣ – ١٦٦بتصرف .

[551]() 13 /95.

[552]() مسلم في المساجد ١/ ٣٧٠ ح ٥٢١.

[553]() 8 /126.

الموضع الثاني والستون

قوله تعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ[٥٥٤] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الجنة فيها ظل دائم مع نظيرتها في قوله تعالى: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ[٥٥٥] ﴾ وهذا يوهم ظاهره المخالفة، مع قوله تعالى في سورة الإنسان ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا[٥٥٦] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

يقول أبو السعود : قوله في ﴿ وَظِلُّهَا ﴾ دائم، أي : لا تنسخه الشمس، كما تنسخ ظلال الدنيا ، [٥٥٧] وقال عند آية الإنسان: ليس فيها شمس محرقة، والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم، ولا بارد مؤذ، وفي لغة طئ – الزمهرير – القمر، وعلى هذا يكون المعنى أن هواءها مضيء بذاته، لا يحتاج إلى شمس ثمت ولا قمر [٥٥٨] .. ويستطرد أبو السعود قائلا – «إن ظلال الأشجار زيادة في نعيمهم على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم بمعنى أنه لا شمس ولا قمر»[٥٥٩] ، وحول آية الواقعة يقول: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ « أي مبسوط لا يتقلص ولا يتعاور كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس»[٥٦٠] .

---

[٥٥٤]() سورة الرعد الآية ٣٥.

[٥٥٥]() سورة الواقعة الآية ٣٠.

[٥٥٦]() سورة الإنسان الآية ١٣.

[٥٥٧]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ٢٥.

[٥٥٨]() المرجع السابق .٧٣ / ٩

[٥٥٩]() المرجع السابق .

[٥٦٠]() المرجع السابق ٨/ ١٩٣.

وظاهر هذه الآيات أن نعيم الجنة دائم وكذلك ظلها. وأنه لا شمس فيها محرقة وأنها لا تنسخ الظلال؛ وبذلك يكون قد أزيل ما يوهم التعارض، وتم التوفيق بين الآيات.

الموضع الثالث والستون

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥ(٥٦١) ﴾ . هذه الآية تدل بظاهرها على إيمان أهل الكتاب؛ لأن الفرح بما أنزل على النبي ﷺ دليل الإيمان، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ(٥٦٢) ﴾ وقد جاءت آيات تدل بظاهرها على خلاف ذلك، كقوله تعالى ﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ(٥٦٣) ﴾ كما بيَّن في موضع آخر أن الكافرين منهم كثرة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ(٥٦٤) ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ نقول: إن الآية من العام الذي أريد به الخصوص من المؤمنين من أهل الكتاب، مثل عبدالله بن سلام، ومن أسلم من اليهود والنصارى، ويدل على ذلك التبعيض في قوله: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ(٥٦٥) ﴾ يقول أبو السعود في تفسيره .. « ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ : هم المسلمون من أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام

(٥٦١) سورة الرعد الآية ٣٦.

(٥٦٢) سورة البقرة الآية ١٢١.

(٥٦٣) سورة البينة الآية ٦.

(٥٦٤) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٥٦٥) سورة النساء الآية ١٥٩، انظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٦٨.

وكعب وأضرابهما، ومن آمن من النصارى، وهم ثمانون رجلاً، أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة - يفرحون بما أنزل إليك - أي: بالكتاب الموعود في التوراة والإنجيل»[٥٦٦] . فالآية من العام الذي أريد به الخصوص، وعلى هذا فلا تعارض.

سورة الحجر - الموضع الرابع والستون

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ[٥٦٧] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن آدم - عليه السلام - خلق من صلصال، أي من طين يابس، وقد جاء في آيات أخرى ما يدل على خلاف ذلك، كقوله: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ[٥٦٨]﴾وقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ[٥٦٩] ﴾ وقوله: ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ[٥٧٠]﴾ ، وقوله :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ[٥٧١] ﴾هذه الآيات توهم في مجموعها التعارض والاختلاف، فما وجه التوفيق بينها؟ نقول : ذكرت الآيات الكريمة أطوارًا مختلفة للتراب الذي هو أصل خلق آدم، بألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة، فذكرت طوره الأول بقوله : ﴿ مِن تُرَابٍ ﴾ ثم بلَّ فصار طينًا لازبًا، ثم خُمِّر فصار حمأ مسنونًا، ثم يبس فصار صلصالا كالفخار[٥٧٢] ، ومرجع هذه

---

[٥٦٦]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ٢٥.

[٥٦٧]() سورة الحجر الآية ٢٦.

[٥٦٨]() سورة الصافات الآية ١١.

[٥٦٩]() سورة آل عمران الآية ٥٩.

[٥٧٠]() سورة الرحمن الآية ١٤.

[٥٧١]() سورة المؤمنون الآية ١٢.

[٥٧٢]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٧١.

الأشياء كلها إلى جوهر هو التراب، ثم قوله بعد ذلك ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٥٧٣) ﴾ وقوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٥٧٤) ﴾ فذلك حكاية عن أصل النطفة، التي هي خلاصة عصارة الأغذية، التي هي أصلا من النبات المنزرع في الأرض، فتئول المسألة كلها أيضاً إلى الأرض، ولتظهر عظمة قدرة الخالق - عز وجل - وبذلك يتضح أنه لا تعارض ولا تناقض ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا. ﴾

قال ابن عطية في المحرر: «﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ هو الجنس والمراد به آدم، ودخل من بعده في ذلك إذ هو من نسله. قال ابن عباس: خلق من ثلاثة: من طين لازب وهو الجيد ، ومن صلصال الأرض الطيبة، يقع عليها الماء ثم ينحسر فتتشقق وتصير مثل الخزف، ومن حمإ مسنون، وهو الطين فيه الحمأة»(٥٧٥). ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: «والمقصود من ذكر هذه الأشياء التنبيه على عجيب صنع الله» .(٥٧٦)

سورة النحل - الموضع الخامس والستون

قوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ (٥٧٧) ﴾. تدل هذه الآية بظاهرها على أن هؤلاء الضالين يحملون أوزارهم كاملة، ويحملون أيضا من أوزار أتباعهم الذين أضلوهم، وقد جاءت آيات أخرى

٥٧٣() سورة المرسلات الآية ٢٠.

٥٧٤() سورة المؤمنون الآية ١٣.

٥٧٥() المحرر الوجيز ٨/ ٣٠٣ وما بعدها.

٥٧٦() 14 /42.

٥٧٧() سورة النحل الآية ٢٥.

تدل على أنه لا يحمل أحد وزر غيره كقوله: ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٥٧٨﴾ ﴾ وقوله في سورة النجم :﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٥٧٩﴾ ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟

نقول: إن هؤلاء الضالين ما حملوا إلا أوزار أنفسهم؛ لأنهم تحملوا وزر الضلال ووزر الإضلال.. فمن سنَّ سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا؛ لأن تسنينها لغيره ذنب من ذنوبه فأخذ به [٥٨٠]، وقد قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ﴿٥٨١﴾ ﴾ . يقول أبو السعود : « قوله: ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال؛ لأنهما شريكان، هذا يضله وهذا يطاوعه، فيتحاملان الوزر وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الإضلال» [٥٨٢]وبهذا يتضح أنه لا تعارض. يقول ابن عطية : «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع، فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[٥٨٣] قاله الطبري».[٥٨٤]

الموضع السادس والستون

---

[٥٧٨]() سورة فاطر الآية ١٨.

[٥٧٩]() سورة النجم الآية ٣٨.

[٥٨٠]() دفع إيهام الاضطراب ص ١٧٢.

[٥٨١]() سورة العنكبوت الآية ٤٠.

[٥٨٢]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ١٠٧.

[٥٨٣]() المحرر الوجيز ٨/ ٣٩٩.

[٥٨٤]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/ ٩٦.

قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴿٥٨٥﴾ ﴾ هذه الآية تدل بظاهرها على أن السكر المتخذ من ثمرات النخيل والأعناب لا بأس به ، لأن الله امتن به على عباده في سورة الامتنان «سورة النحل». وقد حرم الله الخمر بكل أنواعه وجعله رجسًا من عمل الشيطان، وأمر باجتنابه من أجل الفلاح، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٨٦﴾ ﴾. وقد بين - عليه الصلاة والسلام - أن كل مسكر حرام [٥٨٧] وأن الخمر ما خامر العقل [٥٨٨] فما وجه التوفيق بين الآيتين؟

نقول إن آية المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ.. ﴾ الآية ناسخة لآية النحل ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا.. ﴾ إلخ، وذلك على التحقيق خلافًا لكثير من الأصوليين الذين يقولون: إن تحريم الخمر ليس نسخًا لإباحتها الأولى ؛ لأن إباحتها الأولى إباحة عقلية، وهي المعروفة عند الأصوليين بالبراءة الأصلية - وتسمى استصحاب العدم الأصلي، والإباحة العقلية ليست من الأحكام الشرعية حتى يكون رفعها نسخًا، ولو كان رفعها نسخًا لكان كل تكليف في الشرع ناسخًا للبراءة الأصلية من التكليف به، وإلى كون الإباحة العقلية ليست من الأحكام الشرعية. يقول الشنقيطي : « وإنما قلنا: إن التحقيق هو كون تحريم الخمر ناسخًا لإباحتها ؛ لأن قوله: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ يدل على إباحة الخمر شرعا، فرفع

---

[٥٨٥] () سورة النحل الآية ٦٧.

[٥٨٦] () سورة المائدة الآية ٩٠

[٥٨٧] () أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر ٢/ ١٥٨٦ح ١٧٣٣.

[٥٨٨] () أخرجه أبو داود في سننه عن ابن عمر موقوفًا ٤/ ٧٨ ح ٣٦٦٩.

هذه الإباحة المدلول عليها بالقرآن رفع حكم شرعي، فهو نسخ بلا شك. ولا يمكن أن تكون إباحتها عقلية إلا قبل نزول هذه الآية، كما هو ظاهر ومعلوم، أن الخمر نزل في شأنها أربع آيات في القرآن الكريم، الأولى هي هذه الآية آية النحل الدالة على إباحتها، والثانية آية البقرة ﴿ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ[٥٨٩]﴾ الآية فذكرت معائبها ومنافعها. والثالثة آية النساء التي حرمتها في أوقات الصلاة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ[٥٩٠] ﴾. الرابعة هي آية التحريم لها ألبتة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ ..﴾ إلى قوله:﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ[٥٩١]﴾ وعلى ذلك فلا تعارض.

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: «.. وهذا امتنان بما فيه لذتهم المرغوبة لديهم والمتفشية فيهم ، وذلك قبل تحريم الخمر ؛ لأن هذه الآية مكية وتحريم الخمر نزل بالمدينة»[٥٩٢]. ويفهم من هذا النسخ ؛ لتأخر آية التحريم في النزول عن آية الإباحة . والله أعلم.

الموضع السابع والستون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ[٥٩٣] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الشيطان له سلطان على أوليائه ، ونظيرها قوله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

٥٨٩() سورة البقرة الآية . ٢١٩

٥٩٠() سورة النساء الآية ٤٣.

٥٩١() دفع إيهام الاضطراب ص ٤١٧ بتصرف.

٥٩٢() التحرير والتنوير ١٤/ ٢٠٣.

٥٩٣() سورة النحل الآية ١٠٠.

﴿ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ [594] ﴾ . وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على نفي سلطانه عليهم كقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ [595] ﴾ . وللتوفيق بين الآيات نقول:

إن سلطان إبليس عليهم سلطان إضلال بتزيين المحرمات لهم ، والسلطان المنفي هو سلطان الحجة فليس لإبليس حجة عليهم، غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة، ولا برهان فلم يجعل الله لإبليس سلطانًا عليهم ألبتة. لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ [596] ﴾ . ويقول ابن عطية في المحرر: « وهؤلاء الذين لا سلطان ولا رياسة لإبليس عليهم هم المؤمنون أجمعون؛ لأن الله تعالى لم يجعل سلطانه إلا على المشركين الذين يتولونه والسلطان منفي هنا في الإشراك؛ إذ ليس عليهم ملكة في المعاصي أي: ملكة وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ [597] ﴾ . وهم الذين قال فيهم إبليس: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ [598] ﴾ . ويتولونه أي يجعلونه وليًّا. والذين هم بسببه مشركون بالله» [599]. وبذلك ينتفي إيهام التعارض.

---

[594] () سورة الحجر الآية ٤٢.

[595] () سورة سبأ الآيتان ٢٠، ٢١.

[596] () سورة إبراهيم الآية ٢٢، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٧٥.

[597] () سورة الحجر الآية ٤٢.

[598] () سورة الحجر الآية ٤٠.

[599] () المحرر الوجيز ٨/ ٥٠٨.

الموضع الثامن والستون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ[٦٠٠] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن معية الله خاصة بالمتقين المحسنين، وقد جاءت آيات أخرى تفيد عموم هذه المعية كقوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ[٦٠١] ﴾ وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ[٦٠٢] ﴾ وغير ذلك فما وجه التوفيق؟

نقول : إن معية الله للمحسنين والمتقين هي معية خاصة بهم، معية نصر وتوفيق وعون وتيسير لأحسن الأحوال، تكريماً لهم لطاعتهم له تعالى، ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ[٦٠٣] ﴾ وفي التوبة قوله: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ[٦٠٤] ﴾. وهناك معية عامة بكل الخلق معية إحاطة وعلم، فقد أحاط سبحانه بكل شيء علماً، لقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمًا[٦٠٥] ﴾ وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ[٦٠٦] ﴾ فجميع الخلائق تحت قدرته ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ[٦٠٧] ﴾ ومن هنا يتبين أنه لا إيهام ولا تعارض بين

---

[٦٠٠]() سورة النحل الآية ١٢٨.

[٦٠١]() سورة المجادلة الآية ٧.

[٦٠٢]() سورة الحديد الآية ٤.

[٦٠٣]() سورة الأنفال الآية ١٢.

[٦٠٤]() سورة التوبة الآية ٤٠ .

[٦٠٥]() سورة الطلاق الآية ٢، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٧٦.

[٦٠٦]() البروج آية ٢٠ .

[٦٠٧]() سورة سبأ الآية ٣ .

الآيات.

سورة الإسراء - الموضع التاسع والستون

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا[608] ﴾ هذه الآية تصرح بأنه تعالى لا يعذب أحداً حتى ينذره على ألسنة رسله - عليهم الصلاة والسلام - ونظيرها قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ[609] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ[610] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ[611] ﴾ وغير ذلك من الآيات التي تصرح بأنه تعالى أرسل رسلاً في الدنيا، لكل أهل النار، بدليل قوله: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ[612] ﴾ . ومعلوم أن صيغة: ﴿ كُلَّمَآ ﴾ للعموم ونظيرها قوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ إلى قوله: ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ[613] ﴾ فقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ يعم كل كافر، لأن الموصول أيضاً من صيغ العموم لشموله كل ما في صلته، وأمثال هذا كثيرة في القرآن، مع أنه جاء في بعض الآيات ما يفهم منه أن أهل الفترة في النار، كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

[608]() سورة الإسراء الآية ١٥.

[609]() سورة النساء الآية ١٦٥.

[610]() سورة طه الآية . ١٣٤

[611]() سورة الأنعام الآية ١٣١.

[612]() سورة الملك الآيتان ٩،٨.

[613]() سورة الزمر الآية ٧١.

أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾[٦١٤] ﴾ فإن عمومها يدل على دخول من لم يدرك النبي ﷺ ، وكذلك عموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا[٦١٥] ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ[٦١٦] ﴾، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا[٦١٧] ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وتوضيح المسألة فيما يلي:

أولا: « من لم يأته نذير في الدنيا وظل كافرًا حتى مات، اختلف فيه العلماء، هل هو من أهل النار لكفره، بذلك كما قال البعض، أو هو معذور؛ لأنه لم يأته نذير، بذلك كما قال البعض الآخر؟ فقد قال قوم: الكافر في النار ولو مات في زمن الفترة، وبذلك جزم النووي في شرح مسلم، وحكى القرافي في شرح التنقيح، الإجماع على أن موتى أهل الجاهلية في النار لكفرهم، وفسر هؤلاء قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ بالعذاب الدنيوي. وذلك لا ينافي العذاب الأخروي، قال الشوكاني: وبذلك قال الجمهور[٦١٨]ورد الشوكاني التخصيص بعذاب الدنيا بأنه خلاف الظاهر من الآيات، وبأن الآيات المتقدمة الدالة على اعتراف أهل النار جميعًا، بأن الرسل أنذروهم في الدنيا صريحة في نفي العذاب عن أهل الفترة الذين لم يأتهم رسل[٦١٩] ثانيًا: إن قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ في غاية

---

[٦١٤]() سورة التوبة الآية ١١٣.

[٦١٥]() سورة النساء الآية ١٨.

[٦١٦]() سورة البقرة الآية ١٦١ .

[٦١٧]() سورة آل عمران الآية ٩١ .

[٦١٨]() فتح القدير ٣/ ٢١٤.

[٦١٩]() فتح القدير ٣/ ٢١٤.

الوضوح على عدم تعذيبهم، أما عباد الأوثان فلا يعذرون، لأن جميع الكفار يقرون بأن الله ربهم وخالقهم ورازقهم، حسب ما نطقت به الآيات. أما كونهم يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، ولتكون شفعاءهم عند الله، فذلك مغالطة منهم، والقرآن صريح بنفي العذاب عن من لم يأتهم نذير لقوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ[٦٢٠] ﴾ وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ[٦٢١]﴾ وكذلك قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ[٦٢٢]﴾ وغير ذلك من الآيات، وأجاب القائلون بأن أهل الفترة معذورون عن مثل قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ[٦٢٣]﴾..من الآيات المتقدمة بأنهم لا يتبين لهم أنهم من أصحاب الجحيم، ولا يحكم لهم بالنار ولو ماتوا كفارًا، إلا بعد إنذارهم وامتناعهم من الإيمان، كأبي طالب. وحملوا الآيات المذكورة على هذا المعنى[٦٢٤] واعترض هذا الجواب بالحديث الذي ثبت في الصحيح من دخول بعض أهل الفترة النار كحديث « إن أبي وأباك في النار»، الثابت في مسلم [٦٢٥] . واعترض بأنه خبر آحاد لا يقوى على معارضة قوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

---

[٦٢٠]() سورة يس الآية ٦ .

[٦٢١]() سورة السجدة الآية ٣ .

[٦٢٢]() سورة القصص الآية ٤٦ .

[٦٢٣]() سورة التوبة الآية ١١٣ .

[٦٢٤]() دفع إيهام الاضطراب ١٨٠- ١٨٢ بتصرف.

[٦٢٥]() أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ١/ ١٩١ ح٢٠٣.

رَسُولًا(٦٢٦)﴾ وصح بأنه لا يعذب حتى يقطع حجة المعذب بإنذار الرسل في دار الدنيا، وبين أن ذلك الإنصاف التام علة لعدم التعذيب ، فلو عُذِّب إنسان واحد بدون إنذار لاختلت الحكمة، ولثبتت لذلك المعذب الحجة التي بعث الله الرسل لقطعها، لقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ(٦٢٧) ﴾ وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا(٦٢٨)﴾. والذي يظهر رجحانه هو الجمع بين الأدلة؛ لأن الجمع واجب إذا أمكن بلا خلاف. ووجه الجمع بين هذه الأدلة هو عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة ، بالأمر باقتحام نار فمن اقتحمها دخل الجنة . وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل. وبهذا الجمع تتفق الأدلة فيكون أهل الفترة معذورين، ومنهم قوم من أهل النار بعد الامتحان وقوم منهم من أهل الجنة.

أما قول من قال: إن الآخرة دار جزاء لا دار عمل وابتلاء، فذلك مردود بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ(٦٢٩)﴾ فأمرهم بالسجود في عرصات الحشر تكليف، وثبت في الصحيح «أن المؤمنين يسجدون يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك»(٦٣٠) وثبت أنه يقال لقارئ القرآن يوم القيامة اقرأ

٦٢٦() سورة الإسراء الآية ١٥ .

٦٢٧() سورة النساء الآية ١٦٥ .

٦٢٨() سورة طه الآية ١٣٤ .

٦٢٩() سورة القلم الآية ٤٢.

٦٣٠() الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٨/ ٢٥٦.

وارق واصعد، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها [٦٣١]ومن ذلك كله يتضح أنه لا منافاة بين الآيات ولا تعارض. وكأني بأبي السعود مع الرأي الراجح، وأنه لا يعذب إنسان بدون أن يأتيه نذير، يقول في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. «بيان للعناية الربانية إثر بيان باختصاص آثار الهداية والضلال بأصحابها، وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته، وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها، أي : وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة، أو ما كان في حكمنا الماضي، وقضائنا السابق أن نعذب أحداً من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل، حتى نبعث إليهم رسولا يهديهم إلى الحق، ويردعهم عن الضلال، ويقيم الحجج، ويمهد الشرائع، حسب ما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه، والمراد بالعذاب المنفي إما عذاب الاستئصال وهو المناسب لما بعده أو الجنس الشامل للدنيوي والأخروي، وأيا ما كان، فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له، لا لعدم وقوعه مطلقاً كيف لا، والأخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث، والدنيوي يقع في وقته المقدر له .. وقد تأخر العذاب بقوم نوح ألف سنة »[٦٣٢]. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز له ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ : وقال الجمهور :هذا في حكم الدنيا، وقال آخرون: هذا عام في الدنيا والآخرة»[٦٣٣]، ويقول أيضا: « فالظاهر من كتاب الله في غير هذا الموضع، ومن النظر أن الله تعالى لا يعذب في الآخرة إلا بعد بعثة الرسل

---

[٦٣١]() أخرجه أحمد في مسنده .١٩٢ / ٢

[٦٣٢]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ١٦٢.

[٦٣٣]() المحرر الوجيز ٩/ ٣٧.

كقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ [٦٣٤] ﴾ وأما من جهة النظر فإن آدم بعث بالتوحيد، ونصب الأدلة على وجود الصانع مع سلامة الفطر، فإن بعثة آدم بالتوحيد يوجب على كل أحد الإيمان بالله واتباع شريعة الله، وتجدد ذلك مع نوح، فيجوز على الفرض وجود قوم لم تصلهم رسالة، ومنهم أهل الفترات، حسابهم على عدم إيمانهم. ثم قال: وأما ما روي أن الله تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال فحديث لم يصح» [٦٣٥]، على أن ابن كثير له رأي آخر فيما نحا إليه ابن عطية، فبعد أن سرد جملة من الأحاديث في هذا الباب قال: «والجواب عما قال إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح.. ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط عند الناظر فيها»[٦٣٦] . وبهذا ارتفع إيهام التعارض بين الآيات .

الموضع السبعون

قوله تعالى: ﴿ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ [٦٣٧] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الكفار يبعثون يوم القيامة عميـًا وبكمـًا وصمًا، وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ

---

[٦٣٤] () سورة الملك الآية ٨.

[٦٣٥] () المحرر الوجيز ٩/ ٣٧.

[٦٣٦] () تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤.

[٦٣٧] () سورة الإسراء الآية ٩٧.

يَأۡتُونَنَا[٦٣٨]﴾وقوله: ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا[٦٣٩] ﴾ وغير ذلك، فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ نقول : قد يكون المراد مما ذكر حقيقته، ويكون ذلك في مبدأ الأمر، ثم يرد الله إليهم أبصارهم وسمعهم و نطقهم، وبذلك قال أبو حيان[٦٤٠]، وقد يكون المراد أنهم لا يرون شيئاً يسرهم، ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة، كما أنهم كانوا في الدنيا لا ينطقون بحق، ولا يسمعون حقًّا، أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.[٦٤١] فنزل سمعهم وأبصارهم منزلة العدم، لعدم الانتفاع به، وقد يكون المراد أن الله تعالى إذا قال لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ[٦٤٢]﴾ – وقع بهم ذلك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج لقوله تعالى: ﴿ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ[٦٤٣]﴾ وعلى هذا القول تكون الأحوال الثلاثة مقدرة[٦٤٤]كما يوصف البصر بأنه حسي وكذلك العمى، كما يوصف بأنه عقلي ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ[٦٤٥] ﴾، فالعمى هو عمى القلب، والكلام ليس هو التلفظ بألفاظ غير دالة، بل هو الألفاظ الدالة، والسمع ليس فقط حسياً، بل هو سمع غير حسي، فالحشر إذن بالحالة التي كانوا عليها من الضلال والإعراض. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات، ويزول

[٦٣٨]() سورة مريم الآية ٣٨.

[٦٣٩]() سورة الكهف الآية ٥٣.

[٦٤٠]() تفسير البحر المحيط ٦/ ٨٢.

[٦٤١]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٥/ ١٦٧.

[٦٤٢]() سورة المؤمنون الآية .١٠٨

[٦٤٣]() سورة النمل الآية ٨٥ .

[٦٤٤]() الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص، ٨٧، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ١٨٧ بتصرف.

[٦٤٥]() سورة الحج الآية ٤٦.

إيهام التعارض .

الموضع الحادي والسبعون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ [٦٤٦] ﴾ تفيد هذه الآية أنه تعالى لا يأمر بالفحشاء، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ [٦٤٧] ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا [٦٤٨] ﴾ وغير ذلك من الآيات. وقد جاءت آية تقول: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا [٦٤٩] ﴾ .. فما وجه التوفيق بين الآيات؟

نقول: إن آية الأعراف ونظائرها في الأمر الشرعي، والثانية في الأمر الكوني، أي: بمعنى القضاء والتقدير. والمراد أنه لا يأمر بالفحشاء شرعـًا، ولكنه قضاء وقدر، وفرق بين الأمر الكوني والأمر الديني، وبذلك ينتفي التعارض، يقول ابن عطية ما خلاصته :﴿ أَمَرۡنَا ﴾ على صيغة الماضي من أمر ضد نهى قال الطبري: أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وقرأ نافع ﴿ آمرناهم ﴾ بالمد أي كثرناهم – وقرأ أبو عمرو بخلاف أمّرنا بالتشديد للميم من الإمارة، أي ملكناهم على الناس، وقالوا: فلو أريد إمارة الملك في الآية لحسن ذلك ؛ لأن الأمة إذا ملك الله تعالى عليها مترفًا ففسق ثم ولى مثله بعده، ثم كذلك عظم الفساد وتوالى الكفر واستحقوا العذاب، فنزل بهم على الرجل الأخير من ملوكهم[٦٥٠]. وبذلك أيضا

---

[٦٤٦]() سورة الأعراف الآية ٢٨.

[٦٤٧]() سورة النحل الآية ٩٠.

[٦٤٨]() سورة الإسراء الآية ٣٢.

[٦٤٩]() سورة الإسراء الآية ١٦.

[٦٥٠]() المحرر الوجيز ٩/ ٣٩.

يتم التوفيق . ويقول أبو السعود كلامًا خلاصته : «﴿ أَمَرْنَا ﴾ بواسطة الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿ مُتْرَفِيهَا ﴾ متنعميها وجباريها وملوكها ﴿ فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ﴾ – أي خرجوا عن الطاعة ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾ بحلول العذاب ﴿ فَدَمَّرْنَٰهَا ﴾ بتدمير أهلها تدميراً لا يعرف كنه»[٦٥١]. ويقول الزركشي : « أمرناهم وملكناهم وأردنا منهم الصلاح فأفسدوا»[٦٥٢]. وبذلك ينتفي إيهام التعارض ويتم التوفيق أيضـًا.

سورة الكهف - الموضع الثاني والسبعون

قوله: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا[٦٥٣] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن عيبها يكون سببا لترك الملك الغاصب لها، ولذلك خرقها الخضر ولكن عموم قوله: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا[٦٥٤] ﴾ يقتضي أخذ الملك لكل السفن الصحيحة والمعيبة معـًا، فما وجه التوفيق بين أول الآية وآخرها؟ نقول : الكلام فيه حذف الصفة. وتقدير الكلام ﴿ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾ صالحة ﴿ غَصْبًا ﴾ أي سليمة، وحذف النعت جائز لغويًّا إذا دل عليه دليله[٦٥٥]

سورة مريم - الموضع الثالث والسبعون

قوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا[٦٥٦] ﴾ ومعلوم أن البكرة أول النهار،

---

[٦٥١]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥ / ١٦٢.

[٦٥٢]() البرهان في علوم القرآن ٢/ ٥٩.

[٦٥٣]() سورة الكهف الآية .٧٩

[٦٥٤]() سورة الكهف الآية .٧٩

[٦٥٥]() دفع إيهام الاضطراب ص .١٩١

[٦٥٦]() سورة مريم الآية ٦٢.

وأن العشي آخر النهار، يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ [٦٥٧] ﴾ وقد وردت آيات تدل على أن الجنة لا يرى فيها شمس، لقوله تعالى في سورة الدهر ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا [٦٥٨] ﴾. فكيف نوفق بين هذه الآيات؟

نقول : قال ابن قتيبة في مشكل القرآن «الناس يختلفون في مطاعمهم فمنهم من يأكل الوجبة، ومنهم من عادته الغداء والعشاء، ومنهم من يزيد عليهما ، ومنهم من يأكل متى وجد لغير وقت معين . فأعدل هذه الأحوال للطاعم وأنفعها وأبعدها من البشم والطوى، أي التخمة والجوع – على العموم – الغداء والعشاء – والعرب تستحب العشاء وتقول : ترك العشاء مهرمة. وترك العشاء يذهب بلحم الكاذة . ونحن لا نعرف دهراً لا يختلف له وقت، ولا يرى فيه ظلام. ولا شمس – فأراد الله – عز وجل – أن يعرفنا من حيث نفهم ونعلم أحوال أهل الجنة في مأكلهم، واعتدال أوقات مطاعمهم، فضرب لنا البكرة والعشي مثلاً، حيث يدلان على العشاء والغداء . وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنه قال : كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجبه ذلك ، فأخبرهم الله تعالى أن لهم في الجنة هذه الحال التي تعجبهم في الدنيا، وأما قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ [٦٥٩] ﴾ فإنه لم يرد أن ذلك يكون في الآخرة ، وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتهم في القبور يدل على ذلك قوله: ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ

---

[٦٥٧] () سورة آل عمران الآية ٤١ .

[٦٥٨] () سورة الإنسان الآية ١٣.

[٦٥٩] () سورة غافر الآية ٤٦.

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ[٦٦٠] ﴾ . يقول العلامة أبو السعود: «قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ هذا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار ، وقيل: المراد دوام رزقهم واستمراره وإلا فليس فيها بكرة ولا عشي»[٦٦١]. ويقول الشوكاني في فتح القدير: «قال المفسرون ليس في الجنة بكرة ولا عشية، ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من الغداء والعشي»[٦٦٢]. وعلى كل فإيهام التعارض مرتفع، ويكون قد تم التوفيق بين الآيات.

---

[٦٦٠]() تأويل مشكل القرآن ص .٨٣ – ٨٢

[٦٦١]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ٢٧٣.

[٦٦٢]() فتح القدير ٣/ ٣٤٠.

الموضع الرابع والسبعون

قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا [٦٦٣]﴾ تدل هذه الآية على أن جميع الناس لابد من ورودهم النار، وأكد ذلك بقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ وقد جاءت آية أخرى تفيد أن بعض الناس مبعد عنها، ولا يسمع لها حسًّا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ [٦٦٤]﴾ فما وجه التوفيق بين الآيات؟

نقول: إن معنى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ أي: من عذاب النار وألمها، أو إبعادهم عنها بعد أن يكونوا قريبين منها، فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي سمية قال : « اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال آخر: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – فذكرت ذلك له فقال : وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه: صُمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها»، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم – عليه السلام – حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا»[٦٦٥]. وروى جماعة عن ابن مسعود: أن ورود النار هو المرور عليها؛ لأن الناس تمر على الصراط، وهو جسر منصوب على متن جهنم[٦٦٦]. واستدل القائلون بأن الورود نفس الدخول، كابن عباس – بقول

---

[٦٦٣]() سورة مريم الآية ٧١.

[٦٦٤]() سورة الأنبياء الآية ١٠١.

[٦٦٥]() أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٢٨.

[٦٦٦]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ١١٠.

الله تعالى: ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ[٦٦٧] ﴾ وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾[٦٦٨] وقوله: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ[٦٦٩] ﴾ فالورود في كل ذلك بمعنى الدخول[٦٧٠] واستدل القائلون بأن الورود القرب منها من غير دخول، بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ[٦٧١] ﴾. وعلى كل التأويلات لا تعارض بين الآيات . قال أبو السعود : ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ : « أي واصلها وحاضر دونها، يمر بها المؤمنون وهي خامدة، وعن جابر أنه - عليه الصلاة والسلام - سئل عنه أي الورود فقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة»[٦٧٢] أما قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ المراد الإبعاد عن عذابها أو الورود على الصراط الممدود .[٦٧٣]

الموضع الخامس والسبعون

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا[٦٧٤] ﴾ تدل الآيتان مع نظائرها على أن المتقين يحشرون وفوداً إلى ربهم، وأن المجرمين أيضاً يساقون جماعات، بينما جاءت آيات بخلاف ذلك كقوله: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا[٦٧٥] ﴾ وهذه تفيد أن كل شخص يأتي إلى ربه فرداً

---

[٦٦٧]() سورة هود الآية .٢٨

[٦٦٨]() سورة الأنبياء الآية ٩٩، دفع إيهام الاضطراب ص .١٩٢

[٦٦٩]() سورة الأنبياء الآية ٩٨ .

[٦٧٠]() جامع البيان ١٦/ ١١٠ .

[٦٧١]() سورة القصص الآية ٢٣، وانظر: المرجع السابق.

[٦٧٢]() مضى تخريجه.

[٦٧٣]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٥/ ٢٧٦.

[٦٧٤]() سورة مريم الآيتان ٨٥ ، ٨٦ .

[٦٧٥]() سورة مريم الآية ٩٥.

لا أحد معه، فكيف التوفيق بين هذه الآيات ؟ نقول : الحشر الجمع وقد صار في عرف ألفاظ الشرع البعث من القبور [٦٧٦]، وعلى ذلك يكون المراد من حشر المتقين وسوق المجرمين، يكون بعثهم من قبورهم، وظاهر هذه الوفادة أنها بعد انقضاء الحساب والنهوض إلى الجنة، وكذلك سوق المجرمين لدخول النار، أي: كل ذلك بعد الحساب، وعلى هذا فلا تعارض بين الآيات، فالناس قدموا على ربهم فرادى، وبعد انتهاء الحساب؛ المتقون يكرمون بتسييرهم وفودا راكبين إلى الجنة والمجرمون يساقون كالبهائم إلى النار.

يقول الشوكاني في فتح القدير : «ومعنى حشرهم إلى الرحمن، هو حشرهم إلى جنته ودار كرامته، والسوق الحث على السير، والورد العطاش، كالإبل ترد الماء، فهم يساقون إلى جهنم كالإبل العطاش التي تساق إلى الماء، وقد يكون المراد سوق المجرمين فرداً فرداً إلى جهنم»[٦٧٧]. والحشر يكون في الخير وفي الشر كقوله تعالى: ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ [٦٧٨] ﴾ والآية تكريم للمتقين، ولذا قيد الحشر بقوله : ﴿ وَفۡدٗا ﴾ أي: حشر الوفود إلى الملوك، فإن الوفود تكرم، وهذه عادة العرب ، فالقرآن خاطبهم بما يألفونه وذكر الرحمن المناسبة الوفد . أما الأنعام فهي التي تساق قدام رعاتها، فالآية تكريم للمتقين ، وإهانة للمجرمين، والآية بعد الحساب ، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا [٦٧٩] ﴾ والآية التي قبلها ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا [٦٨٠] ﴾

---

[٦٧٦] () المحرر الوجيز ٩/ ٥٣٤.

[٦٧٧] () فتح القدير ٣/ ٣٥١.

[٦٧٨] () سورة الصافات الآية . 23 ، ٢٢

[٦٧٩] () سورة الزمر الآية .73

[٦٨٠] () سورة الزمر الآية .٧١

قال المفسرون : « معنى وفداً أي ركباناً وهي عادة الوفود ؛ لأنهم سراة الناس وأشرافهم وأحسنهم شكلاً ، فشبه أهل الجنة بأولئك، تشبيه هيئة وكرامة»[٦٨١]. وبهذا يزول التعارض، ويتم التوفيق بين الآيات.

سورة طه - الموضع السادس والسبعون

قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ [٦٨٢]﴾ استدل المعتزلة بظاهر الآية على إنكار صفة الاستواء عن الله تعالى، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة[٦٨٣]. وفي هذا يقول القاضي عبدالجبار : (الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء والغلبة، وذلك مشهور في اللغة). [٦٨٤]

ويرد على تأويلهم هذا، بما يلي:

١- أنه لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء، والملك والقهر والقدرة، لم يكن في تخصيصه بالعرش من فائدة ؛ لأنه سبحانه وتعالى مستول على كل شيء، ومالك كل شيء، وهو قهّار السموات والأرض، والقادر على تصريف جميع الأمور. وإذا كان الأمر كذلك، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى ما ذكروه، لأن ما ذكروه عام في الأشياء كلها، فوجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون ما سواه.

٢- لو كان ما ذكروه صحيحًا ، للزم من ذلك أن يكون الله مستويًا على

---

[٦٨١] () فتح القدير للشوكاني ٣/ ٣٥١.

[٦٨٢] () سورة طه الآية ٥.

[٦٨٣] () شرح الأصول الخمسة ص ٢٢٦.

[٦٨٤] () الإبانة عن أصول الديانة ص ١٠٨.

الأرض، تعالى الله عن ذلك .

٣- إن ما ذكروه مخالف لما عليه سلف هذه الأمة، فإن السلف الصالح فهموا من كلمة (استوى) حقيقة الاستواء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.[٦٨٥]

قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك، لما سئل: كيف الاستواء؟ : (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق).[٦٨٦]

وقال الإمام الأوزاعي : (كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، بائن من خلقه، ونؤمن بما وردت به السنة) [٦٨٧]

وقال ابن كثير، عند تفسير قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ[٦٨٨] ﴾: (وإنما نسلك في هذا المقام، مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.[٦٨٩]

الموضع السابع والسبعون

---

[٦٨٥]() آراء المعتزلة الأصولية – دراسة وتقويماً – علي الضويحي .

[٦٨٦]() تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالوهاب ص ٦٧٤.

[٦٨٧]() تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ١٨٠.

[٦٨٨]() سورة الأعراف الآية ٥٤.

[٦٨٩]() تفسير ابن كثير .١٩٢ / ٢

قوله تعالى: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ [٦٩٠]﴾ هذه الآية تقتضي أن يكون المخاطب اثنان لكن قوله: ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ يقتضي أن المخاطب واحد فما هو الجواب؟

ونقول: خاطبهما فرعون معًا وخص موسى بالنداء؛ لأنه الأصل في الرسالة [٦٩١] بدليل قوله: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ [٦٩٢]﴾ وبهذا يتم التوفيق.

سورة الأنبياء - الموضع الثامن والسبعون

قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ [٦٩٣]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن جميع المعبودات مع عابديها في النار، وقد أشارت آيات أخرى إلى أن بعض المعبودين كعيسى - عليه السلام - والملائكة ليسوا من أهل النار لعصمتهم؛ ولأن الملائكة فطروا على الطاعة، وعيسى رسول ومن أولي العزم، فهم برآء من معبوديهم، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ [٦٩٤]﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ [٦٩٥]﴾ وقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ [٦٩٦] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

---

[٦٩٠] () سورة طه الآية ٤٩ .

[٦٩١] () دفع إيهام الاضطراب ص . ٢٠١

[٦٩٢] () سورة القصص الآيتان ٣٤، ٣٥.

[٦٩٣] () سورة الأنبياء الآية ٩٨.

[٦٩٤] () سورة الزخرف الآية ٥٧.

[٦٩٥] () سورة سبأ الآية ٤ .

[٦٩٦] () سورة الإسراء الآية ٥٧.

ونقول : إن آية الأنبياء: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾.. إلخ، لم: تتناول عيسى – عليه السلام – ولا الملائكة، لأن – ما – لغير العاقل يشير إلى ذلك قوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ [٦٩٧] ﴾ ويمكن القول بأن عيسى – عليه السلام – والملائكة خارجون من هذا النص لعصمتهما ولقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ [٦٩٨] ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ [٦٩٩]﴾ فقد عبر في هذه الآية بلفظة . إنما – الدالة على الحصر ، وعليه فهي تدل على حصر الوحي في توحيد الألوهية، والأنبياء والملائكة أول الناس في ذلك، لذا فهم خارجون من الآية[٧٠٠]. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات، ويزول إيهام التعارض. يقول ابن عطية في المحرر : هذه، أي آية الأنبياء، مخاطبة لكفار مكة، أي : إنكم وأصنامكم حصب جهنم، والحصب: ما توقد به النار، وقال: وقوله ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ يريد الأصنام وحرقها بالنار، على جهة التوبيخ لعابدها، ومن حيث إن – ما – تقع لمن يعقل في بعض المواضع، اعترض ابن الزبعري بما ذكرناه، ورد عليه بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ..﴾ الآية، ثم قرر الأمر بالإشارة إلى الأصنام، التي أرادها في قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾. فقال: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ﴾ وعبر عن الأصنام بهؤلاء، من حيث هي عندهم بحال من يعقل[٧٠١] وبذلك تزاد المسالة

---

[٦٩٧]() سورة الزخرف الآية ٥٨ .

[٦٩٨]() سورة الأنبياء الآية .١٠١

[٦٩٩]() سورة الأنبياء الآية .١٠٨

[٧٠٠]() دفع إيهام الاضطراب ص . ٢٠٣

[٧٠١]() المحرر الوجيز ١٠/ ٢٠٩.

تاكيدًا في التوفيق، وإزالة إيهام التعارض.

سورة الحج - الموضع التاسع والسبعون

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ [٧٠٢]﴾ تدل هذه الآية الكريمة بظاهرها على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة، وكذلك قوله في سورة السجدة: ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ [٧٠٣]﴾. وقد جاءت آية أخرى بخلاف ذلك وهي قوله: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [٧٠٤] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

ذكر السيوطي في الإتقان «عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾- السجدة – وقوله: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ – المعارج – فقال ابن عباس : يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما ، وأخرجه ابن أبي حاتم من هذا الوجه وزاد ما أدري ما هما، وأكره أن أقول فيهما ما لا أعلم . وسئل ابن المسيب من السائل نفسه هذا السؤال، فقال هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم مني. وذكر السيوطي عن ابن عباس أيضا : إن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه، ويوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات، ويوم الخمسين ألفًا هو يوم القيامة[٧٠٥] . وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سماك عن

---

[٧٠٢]() سورة الحج الآية ٤٧ .

[٧٠٣]() سورة السجدة الآية ٥.

[٧٠٤]() سورة المعارج الآية ٤ ، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ٢٠٦ .

[٧٠٥]() دفع إيهام الاضطراب ص٢٠٦.

عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً قال له: حدثني ما هؤلاء الآيات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ وذكر الآيات آنفة الذكر – فقال :يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة، والسموات في ستة أيام، كل يوم يكون ألف سنة، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض، الآية. قال: ذلك مقدار المسير» .[٧٠٦]

ويقول الزركشي في البرهان: « إنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل قوله: ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا [٧٠٧] «﴾ وإني أميل إلى رأي الزركشى؛ لأن الدقيقة في الشدة تمر كأنها دهر. والله أعلم. وعلى كل تفسير فلا إيهام ولا تعارض.

الموضع الثمانون

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ [٧٠٨]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن كل رسول وكل نبي يلقي الشيطان في أمنيته أي تلاوته إذا تلا، ففي الحديث في البخاري عن ابن عباس أنه قال: ﴿ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه، والتمني بمعنى التلاوة[٧٠٩]وقال بعض العلماء: ﴿ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ أحب شيئاً فكل نبي يتمنى إيمان أمته، والشيطان يلقي عليهم الوساوس والشبه ليصدهم عن سبيل الله . وهذه الآية لا تعارض بينها وبين الآية المصرحة بأن الشيطان لا سلطان له على عباد الله المتوكلين. وخيار المؤمنين

---

[٧٠٦]() الإتقان ٣/ ٨٤ بتصرف .

[٧٠٧]() سورة الفرقان الآية 26، وانظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٦٢.

[٧٠٨]() سورة الحج الآية ٥٢.

[٧٠٩]() صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن، سورة الحج ٥/ ٢٤١.

الأنبياء كما هو معلوم ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ [٧١٠]﴾ فلا سلطان للشيطان لا على الأنبياء ولا على المؤمنين المتوكلين المخلصين لقوله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ [٧١١]﴾. ووجه كون الآيات لا تعارض بينها أن سلطان الشيطان المنفي معنى الحجة، ولا حجة مع الشيطان ألبته لاعتراف الشيطان نفسه بذلك في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ [٧١٢]﴾ أو أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه، فباب التوبة مفتوح وخير الخطائين التوابون، وعلى هذا فلا إشكال. أما ما ذكره المفسرون من أن أسباب نزول هذه الآية قراءة رسول الله سورة النجم بمكة فلما بلغ ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ [٧١٣]﴾ ألقى الشيطان على لسانه. تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون. وقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم[٧١٤]. وشاع أن أهل مكة أسلموا ورجع المهاجرون من الحبشة فوجدوهم على كفرهم فذلك باطل ومختلق؛ لأنه لو صح ذلك فإن سلطان الشيطان يكون قد بلغ حدًّا أدخل به في القرآن على لسان النبي ق الكفر البواح حسبما يقتضيه ظاهر القصة المزعومة. من هنا نقول:

إن قصة الغرانيق مستحيلة شرعـًا . وصرح بعدم ثبوتها كثير من العلماء. فلم

---

[٧١٠]() سورة النحل الآية ١٠٠، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ص ٢٠٨ بتصرف.

[٧١١]() سورة ص الآيتان ٨٢، ٨٣.

[٧١٢]() سورة إبراهيم الآية ٢٢.

[٧١٣]() سورة النجم الآيتان ١٩، ٢٠.

[٧١٤]() تفسر ابن كثير ٣/ ٢٤١.

تثبت من طريق يصلح للاحتجاج . قال الشوكاني: لم يصح منها شيء[٧١٥] وقال ابن خزيمة: هي من وضع الزنادقة. وأبطلها عياض [٧١٦] وابن العربي المالكي [٧١٧] والفخر الرازي [٧١٨]ومن أصرح الأدلة على بطلانها قراءة النبي ﷺ بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ[٧١٩]﴾ وقراءة رسول الله ﷺ سورة النجم بمكة. وسجود المشركين ثابت في الصحيح ولم يذكر فيه شيء من قصة الغرانيق [٧٢٠]، وعلى ذلك فلا إشكال. وأما على القول بثبوتها كما هو رأي الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، فللعلماء على ذلك أجوبة منها: أن النبي كان يرتل سورة النجم ترتيلاً تتخلله سكتات، فلما قرأ ومناة الثالثة الأخرى، قال الشيطان لعنه الله محاكيًا صوت رسول الله: تلك الغرانيق العلى.. إلخ، فظن المشركون أن الصوت صوته ﷺ وهو برئ من ذلك[٧٢١]وعلى ذلك أيضـًا فلا تعارض بين الآيات . وقال ابن كثير ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق ولكنها من طرق كلها مرسلة – ولم أرها مسندة من وجه صحيح، وقال القاضي عياض في كتاب الشفا: «هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة»[٧٢٢] وقال القاضي أبو محمد في المحرر الوجيز: « وهذا الحديث الذي فيه هذه الغرانقة لم يدخله

---

[٧١٥]() فتح القدير ٣/ ٢٣١.

[٧١٦]() تفسير ابن كثير٣/ ٢٤٢ ، فتح القدير ٣/ ٤٦٢.

[٧١٧]() أحكام القرآن ٣/ ١٣٠٣

[٧١٨]() التفسير الكبير ٢٣/ ٥٠.

[٧١٩]() سورة النجم الآية .٢٣

[٧٢٠]() صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن، باب فاسجدوا لله واعبدوا ٦/ ٥١.

[٧٢١]() فتح الباري ٨/ ٤٤٠ ، ودفع إيهام الاضطراب ص . ٢١٢

[٧٢٢]() تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٢.

البخاري ولا مسلم»[٧٢٣]. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات.

سورة المؤمنون - الموضع الحادي والثمانون

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ [٧٢٤] ﴾ تدل هذه الآية الكريمة بظاهرها على أن الكفار يزعمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا إلا يومـًا أو بعض يوم، وقد جاءت آيات أخرى يفهم منها خلاف ذلك؛ كقوله: ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا [٧٢٥] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ [٧٢٦] ﴾ وللتوفيق بين هذه الآيات نقول:

إن وجه دلالة القرآن على ما ذكر أنه بيّن أن أقواهم إدراكـًا وأرجحهم عقلاً وأمثلهم طريقة هو الذي يقول: إن مدة لبثهم يومٌ، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا [٧٢٧] ﴾ فدل ذلك على اختلاف أقوالهم في مدة لبثهم .[٧٢٨]

وذكر أبو السعود في تفسيره عند قوله: ﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا.. ﴾ الآية استقصارًا لمدة لبثهم فيها[٧٢٩]. ونقول: كيف يكون ذلك وقد قال عز وجل: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ

---

٧٢٣. 305/ 10 ()

٧٢٤() سورة المؤمنون الآية ١١٣.

٧٢٥() سورة طه الآية ١٠٣.

٧٢٦() سورة الروم الآية ٥٥.

٧٢٧() سورة طه الآية ١٠٤.

٧٢٨() دفع إيهام الاضطراب ص٢١٥.

٧٢٩() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/ ١٥٣.

﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ نقول: ربما يكون صدور هذا القول من بعضهم دون إدراك لما يقولون لاسيما عند ذهولهم ؛ لأن حقيقة مكثهم طويلة .. فقد يراه البعض كذلك، وقد يراه البعض غير ذلك والله أعلم.

سورة النور - الموضع الثاني والثمانون

قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ[٧٣٠] ﴾ هذه الآية ظاهرها يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ ﴾.. إلى قوله: ﴿ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ [٧٣١] ﴾ وقوله أيضًا: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟[٧٣٢] ﴾.. . وقد دلت الآية الأولى على خبث الزوجتين الكافرتين، امرأة نوح وامرأة لوط، مع أن زوجيهما رسولان، وهما نوح ولوط، ودلت الآية الثانية على طيب امرأة فرعون، مع كفر زوجها وخبثه، فكيف التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول : قال كثير من المفسرين : إن معناها الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال .. والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، وعلى ذلك فما نسبه المنافقون إلى عائشة من كلام خبيث، هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، وقلنا ذلك لأن الآيات نزلت في براءة عائشة لقوله عقب الآيات: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ ﴾ أي عائشة وأسرتها ورسول الله ﷺ وعلى ذلك فلا إشكال، قال بذلك ابن عباس ومجاهد، ورواه عنهم ابن جرير وابن كثير وغيرهم[٧٣٣]. كما

---

[٧٣٠]() سورة النور الآية ٢٦.

[٧٣١]() سورة التحريم الآية ١٠.

[٧٣٢]() سورة التحريم الآية ١١.

[٧٣٣]() جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري١٨/ ١٠٦-١٠٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٩١.

يمكن القول بأن الآية ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾.. إلخ من العام المخصوص، بدليل امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون.. وعليه فالغالب تقييض كل من الطيبات والطيبين والخبيثات والخبيثين، لجنسه الملائم له في الخبث أو الطيب، مع أنه تعالى ربما قيض خبيثة لطيب، كامرأة نوح وامرأة لوط، أو طيبة لخبيث، كامرأة فرعون، لحكمة بالغة بدليل قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟..﴾ الآية. مع قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ[٧٣٤]﴾ والحكمة في ذلك أن يعلم الناس أن القرابة من الصالحين لا تنفع الإنسان، وإنما ينفعه عمله فقط.

فدخول امرأة نوح وامرأة لوط النار؛ أكبر دليل على ذلك لقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا[٧٣٥]﴾ ولعل ذلك يدفع الاغترار بالقرابة. كما أنه يفهم من الآية أن مخالطة الكفار بدون اختياره لا يضر صاحب العمل الصالح. فالخبيث خبيث وإن خالطه الصالحون، والطيب طيب وإن خالطه الأشرار.[٧٣٦]

ويقول أبو السعود: حول هذه الآية : «المجانسة من دواعي الانضمام، والآيات في عائشة ورسول الله ﷺ، وهو أطيب الطيبين وخيرة الأولين والآخرين، والآية تبين أن الصِدِّيقة من أطيب الطيبات بالضرورة»[٧٣٧]. وعلى ذلك فلا إشكال أيضـًا، فتكون الآية عامة خصصت بآية التحريم، أو هي خاصة بعائشة - رضي

---

[٧٣٤]() سورة العنكبوت الآية ٤٣.

[٧٣٥]() سورة التحريم الآية ١٠.

[٧٣٦]() دفع إيهام الاضطراب ص .٢١٧

[٧٣٧]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/ ١٦٧.

الله عنها – ورسول الله عليه الصلاة والسلام، كما يمكن القول بأن المراد بالطيبات والخبيثات أي الكلمات الطيبات والكلمات الخبيثات. وبذلك يتم التوفيق وتزول شبهة التعارض.

سورة الفرقان - الموضع الثالث والثمانون

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ[٧٣٨]﴾ هذه الآية تدل بظاهرها على أن أهل الجنة يجزون غرفة واحدة، وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف، ذلك كقوله تعالى: ﴿ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ[٧٣٩]﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ[٧٤٠] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ نقول : إن المراد بالغرفة الدرجة العليا في الجنة، وقيل: الغرفة الجنة، سميت بذلك لارتفاعها[٧٤١] يقول أبو السعود : « الغرفة الدرجة العالية من المنازل، أي: يثابون أعلى منازل الجنة، وهي اسم جنس أريد به الجمع، كقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ وقيل: هي اسم من أسماء الجنة»[٧٤٢] . وقال الألوسي حول الآية: «الغرفة الدرجة العالية من المنازل أيضا وقد فسرت على ما روي عن ابن عباس ببيوت من زبرجد ودر وياقوت أو المراد بها الجنس وهو ما يطلق على الجمع»[٧٤٣]. وبذلك يتم

---

[٧٣٨]() سورة الفرقان الآية ٧٥.

[٧٣٩]() سورة الزمر الآية ٢٠.

[٧٤٠]() سورة سبأ الآية ٣٧.

[٧٤١]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٢٤.

[٧٤٢]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/ ٢٣١.

[٧٤٣]() روح المعاني ١٩/ ٥٣.

التوفيق.

سورة الشعراء - الموضع الرابع والثمانون

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٤٤) ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن قوم نوح كذبوا جماعة من المرسلين، ثم بيَّن ذلك بما يدل على خلاف ذلك، وأنهم إنما كذبوا رسولاً واحداً هو نوح – عليه السلام – بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (٧٤٥) ﴾ إلى أن قال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (٧٤٦) ﴾ فما وجه التوفيق بين الآيات؟

نقول : قال العلماء: كانت دعوة الرسل واحدة وهي قولهم: لا إله إلا الله، فلما كان الأمر كذلك صار كل مكذب لأي رسول مكذبًا لكل الرسل؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٧٤٧) ﴾ وقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ (٧٤٨) ﴾ وقد بين سبحانه أن مكذب بعضهم يعتبر مكذبًا لجميع الرسل بقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا (٧٤٩) ﴾ . ويأتي هذا الإشكال أيضاً في قصة عاد في قوله: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ (٧٥٠) ﴾ وفي قوله: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ

---

(٧٤٤) سورة الشعراء الآية ١٠٥.

(٧٤٥) سورة الشعراء الآية ١٠٦.

(٧٤٦) سورة الشعراء الآية ١١٧.

(٧٤٧) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

(٧٤٨) سورة النحل الآية ٣٦.

(٧٤٩) سورة النساء الآيتان ١٥٠، ١٥١.

(٧٥٠) سورة الشعراء الآيتان 124، ١٢٣

﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ[٧٥١]﴾ . وفي قصة لوط وشعيب - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - وما قيل في قصة نوح يقال في قصصهم [٧٥٢] وبذلك يتم التوفيق.

يقول أبو السعود : « وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار إجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار، وإما لأن المراد بالجمع الواحد» [٧٥٣] وبذلك أيضاً يتم التوفيق . وفي الألوسي عند قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ : قوله : «القوم يذكر ويؤنث كما في المصباح، وكذلك كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو رهط ونفر. وقيل: هو مذكر ولحقت فعله علامة التأنيث على إرادة الأمة والجماعة منه، وجوز أن يراد بالمرسلين نوح - عليه السلام - بجعل اللام للجنس كقولهم: فلان يركب الدواب»[٧٥٤]. وبذلك أيضاً يتم التوفيق.

سورة النمل - الموضع الخامس والثمانون

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ[٧٥٥] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها على أن الجبال يظنها الرائي ساكنة، بينما هي تسير، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الجبال راسية، والراسي هو الثابت المستقر كقوله تعالى:

---

[٧٥١]() سورة الشعراء الآيتان .142، 141

[٧٥٢]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٢٥.

[٧٥٣]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/ ٢٥٤.

[٧٥٤]() روح المعاني ١٩/ ١٠٦.

[٧٥٥]() سورة النمل الآية .88

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا[٧٥٦] ﴾ وقوله: ﴿ وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ[٧٥٧] ﴾ وقوله ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ[٧٥٨] ﴾ وغير ذلك من الآيات فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول : قوله: ﴿ أَرۡسَىٰهَا.. ﴾ ونحوه في الدنيا فقد أرسى الله الجبال منذ خلقها، أما قوله: ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ ﴾ فذلك في الآخرة بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ[٧٥٩] ﴾.... ثم عطف عليه قوله: ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ[٧٦٠] ﴾. وهناك نصوص قرآنية أخرى تدل على أن سير الجبال يكون في يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ[٧٦١] ﴾ وفي سورة النبأ يقول عز وجل: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا[٧٦٢] ﴾. ويقول أبو السعود : «مدللاً على أن سير الجبال يكون يوم القيامة -إن ذلك يكون بعد النفخة الثانية- عند حشر الخلق، فعندئذ يبدل الله الأرض غير الأرض، ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها، كما نطق قوله تعالى في سورة طه:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا[٧٦٣] « ﴾ وبذلك يتم التوفيق وتزول شبهة إيهام التعارض.

---

[٧٥٦]() سورة النازعات الآية ٣٢.

[٧٥٧]() سورة ق الآية ٧.

[٧٥٨]() سورة النحل الآية ١٥.

[٧٥٩]() سورة النمل الآية ٨٧.

[٧٦٠]() سورة النمل الآية ٨٨.

[٧٦١]() سورة الكهف الآية ٤٧.

[٧٦٢]() سورة النبأ الآية ٢٠، دفع إيهام الاضطراب ص ٢٢٥.

[٧٦٣]() سورة طه الآيات ١٠٧ – ١٠5، وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٦/ ٣٠٤.

وقد ذكر الألوسي ما مفاده أن ذلك يكون يوم القيامة أيضاً فقال: «ذهب غير واحد إلى أن تبديل الأرض كالبروز بعد النفخة الثانية؛ لما في صحيح مسلم عن عائشة قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ [٧٦٤]﴾فأين يكون الناس؟ قال: « على الصراط» [٧٦٥] وفي البحر المحيط[٧٦٦] أن أول الصفات ارتجاجها، ثم صيرورتها كالعهن المنفوش، ثم كالهباء، بأن تتقطع بعد أن كانت كالعهن، ثم نسفها بإرسال الرياح عليها، ثم تطييرها بالريح في الجو، كأنها غبار، ثم كونها سراباً، وذلك يقتضي أن يكون قبل النفخة الثانية»[٧٦٧]. وتحت أي توجيه يكون قد تم التوفيق بين الآيات وأزيل شبهة التعارض.

سورة القصص - الموضع السادس والثمانون

قوله تعالى: ﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ [٧٦٨]﴾ تدل هذه الآية بظاهرها – كما يراه المعتزلة – أنها توجب حدوث النداء، لأنه جعل الشجرة ابتداء غايته، وهذا يوجب حدوثه فيها[٧٦٩]، فكيف ندفع هذا الإيهام؟

نقول : إن الاستدلال بهذه الآية على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة ،

---

[٧٦٤]() سورة إبراهيم الآية ٤٨.

[٧٦٥]() صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب في البعث والنشور ٢١٥٠ / ٣ ح ٢٧٩١.

[٧٦٦]() تفسير البحر المحيط ٧/ ١٠٠.

[٧٦٧]() روح المعاني للألوسي ٢٠/ ٣٥.

[٧٦٨]() سورة القصص الآية ٣٠.

[٧٦٩]() متشابه القرآن ٢/ ٥٤٥.

فسمعه موسى منها باطل، ودليل ذلك أول الآية وآخرها. فأما أولها: فقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ والنداء هو الكلام من بعد، فسمع موسى - عليه السلام - النداء من حافة الوادي، ثم قال : ﴿ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ أي : أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة ، كما تقول : سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت ابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿.. مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ لابتداء الغاية، لا أن الشجرة هي المتكلمة.

وأما آخر الآية : فقوله تعالى :﴿ .. يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فإنه لو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة لكانت هي القائلة لهذا الكلام، وهو باطل، وما يؤدي إلى الباطل مثله، ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون ﴿ .. أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ[٧٧٠] ﴾ صدقًا، إذ كل من الكلامين - عندهم - مخلوق قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة، فزعموا أن ذلك من كلام خلقه الله في الشجرة ، وهذا كلام خلقه فرعون، فحرفوا وبدلوا، واعتقدوا خالقًا غير الله.[٧٧١]

وأيضًا: فإنه لو سمع موسى - عليه السلام - كلام الله تعالى من غير الله، لما كان له - عليه السلام - فضل علينا، لأننا نسمع كلام الله تعالى من غيره [٧٧٢]. وبذلك تبطل هذه الشبهة[٧٧٣] . والله أعلم.

---

[٧٧٠] () سورة النازعات الآية .٢٤

[٧٧١] () شرح العقيدة الطحاوية ص .١٨٧ - ١٨٦

[٧٧٢] () الفصل في الملل والأهواء لابن حزم ٣/ ٥ .

[٧٧٣] () المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد المعتق ص . ١٢٢-١٢١

سورة الروم - الموضع السابع والثمانون

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ[٧٧٤] ﴾ . تدل هذه الآية بظاهرها على أن المجرمين إذا خرجوا من قبورهم ليوم القيامة يقول بعضهم لبعض: إلا لبثتم إلا ساعة، وجاءت آيات أخرى تفيد خلاف ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا[٧٧٥] ﴾ ، وقال :﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا[٧٧٦] ﴾ وقال :﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا[٧٧٧] ﴾ فكيف نوفق بين الآيات ؟

نقول : قال الإمام أحمد : (إن المراد بقوله :﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾أي عشر ليال، وذلك أنهم إذا خرجوا من قبورهم، فنظروا إلى ما كانوا يكذبون به من أمر البعث، قال بعضهم لبعض: إن لبثتم في القبور إلا عشر ليال، واستكثروا العشر، فقالوا:﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ في القبور، ثم استكثروا اليوم فقالوا :﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ثم استكثروا القليل، فقالوا:﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ .[٧٧٨](﴾

سورة السجدة - الموضع الثامن والثمانون

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ[٧٧٩] ﴾ . أسند في هذه الآية التوفي إلى ملك واحد هو ملك الموت، وأسنده في آيات أخر إلى جماعة من

---

[٧٧٤]() سورة الروم الآية ٥٥.

[٧٧٥]() سورة طه الآية . ١٠٣.

[٧٧٦]() سورة طة الآية .١٠4.

[٧٧٧]() سورة الإسراء الآية 52.

[٧٧٨]() الرد على الجهمية والزنادقة ص ٩٣.

[٧٧٩]() سورة السجدة الآية ١١.

الملائكة كقوله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا[٧٨٠] ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ[٧٨١] ﴾ وأسنده في آية أخرى إلى نفسه – جل وعلا – وهي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا[٧٨٢] ﴾ فظاهر هذه الآيات وآية ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ التعارض بينها فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ نقول:

قال البغوي : «توفي الملائكة بالقبض والنزع، وتوفي ملك الموت بالدعاء والأمر، يدعو الأرواح فتجيبه، ثم يأمر أعوانه بقبضها، وتوفي الله سبحانه خلق الموت فيه»[٧٨٣]. وزيادة في الإيضاح نقول: إسناد التوفي إلى نفسه – عز وجل – لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى؛ دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا[٧٨٤] ﴾ . ثم أسنده إلى ملك الموت؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسنده إلى الملائكة؛ لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة، تحت رئاسته يعملون بأمره، وينزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت [٧٨٥] . والله أعلم. وفي التحرير والتنوير يقول ابن عاشور : « وملك الموت هو الملك الموكل بقبض الأرواح، وقد ورد ذكره في القرآن مفردًا كما هنا، ومجموعًا كما في قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ

٧٨٠() سورة الأنعام الآية ٦١.

٧٨١() سورة النحل الآية ٢٨.

٧٨٢() سورة الزمر الآية ٤٣.

٧٨٣() معالم التنزيل بهامش لباب التأويل للخازن ٥/ ٢٢٢– ٢٢٣ بتصرف.

٧٨٤() سورة آل عمران الآية ١٤٥.

٧٨٥() دفع إيهام الاضطراب ص ٦٩.

كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ[٧٨٦]﴾ وقوله ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا[٧٨٧]﴾ ذلك لأن الله جعل ملائكة كثيرين لقبض الأرواح وجعل مبلغ أمر الله بذلك «عزرائيل» ، فإسناد التوفي إليه كإسناده إلى الله كما في قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ وجعل الملائكة الموكلين بقبض الأرواح أعواناً له، وأولئك يسلمون الأرواح إلى «عزرائيل»، فهو يقبضها ويودعها في مقارها التي أعدها الله لها» . [٧٨٨]

وبذلك يتم التوفيق وتزول شبهة التعارض .

سورة الأحزاب - الموضع التاسع والثمانون

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [٧٨٩] ﴾

جاءت الآية في أولها خطاباً للمفرد، وفي آخرها للجمع، فما وجه التوفيق بين أولها وآخرها؟ نقول: كان آخر الآية بخطاب الجمع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ لدخول الأمة تحت هذا الخطاب، وخاطبه لأنه قدوتهم - عليه الصلاة والسلام - ويمكن القول بأن الخطاب لرسول الله ق والمراد أمته أو دوام تقواه لله . يقول أبو السعود : «نودي بعنوان النبوة تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانته، والمراد بالتقوى المأمور بها الثبات عليها والازدياد منها. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ قيل: الخطاب لرسول الله والجمع للتعظيم، وقيل له

[٧٨٦]() سورة الأنفال الآية ٥٠.

[٧٨٧]() سورة الأنعام الآية ٦١.

[٧٨٨]() 21/220.

[٧٨٩]() سورة الأحزاب الآيتان ٢، ١.

وللمؤمنين وأيا ما كان، فالجملة تعليل للأمر وتأكيد لموجبه، فلابد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما»[٧٩٠]. وبذلك يتم التوفيق بين أطراف الآية الكريمة .

الموضع التسعون

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ[٧٩١] ﴾ هذه الآية يظهر إيهام تعارضها مع قوله: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ[٧٩٢] ﴾ وللتوفيق بينهما نقول : قال العلماء ما خلاصته: إن قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ ومنسوخ بقوله: ﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ.. ﴾ وذلك أحد الموضعين اللذين في المصحف ناسخهما قبل منسوخهما، لتقدمه في ترتيب المصحف مع تأخره في النزول على القول بذلك، وقيل: الآية الناسخة لها هي قوله تعالى: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ[٧٩٣] ﴾، وقال بعض العلماء : هي محكمة، وعليه فالمعنى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ أي من بعد النساء اللاتي أحلهن الله لك في قوله: ﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ.. ﴾ الآية، فتكون آية: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ﴾ محرمة ما لم يدخل في آية: ﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ.. ﴾ كالكتابيات والمشركات والبدويات على القول بذلك فيهن، وبنات العم والعمات، وبنات الخال والخالات، اللاتي لم يهاجرن معه على القول بذلك فيهن أيضا. والقول بعدم النسخ قال به أبي بن كعب، ومجاهد، وعكرمة

---

[٧٩٠]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٧/ ٨٩.

[٧٩١]() سورة الأحزاب الآية ٥٠.

[٧٩٢]() سورة الأحزاب الآية ٥٢.

[٧٩٣]() سورة الأحزاب الآية ٥١.

وغيرهم[٧٩٤]. قال الشنقيطي : والذي يظهر لنا: أن القول بالنسخ أرجح، وليس المرجح لذلك عندنا أنه قول جماعة من الصحابة، ومن بعدهم منهم علي وابن عباس وأنس وغيرهم، ولكن المرجح له عندنا : أنه قول أعلم الناس بالمسالة : أعني أزواجه، فقد قالت بذلك عائشة أم المؤمنين قالت : «ما مات ق حتى أحل الله له النساء»[٧٩٥] وبذلك قالت أم سلمة . قالت : «لم يمت رسول الله حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم» [٧٩٦] وقد روى عن عائشة ذلك أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وأبو داود في ناسخه وغيرهم، وروى عن أم سلمة ابن أبي حاتم، كما نقله عنه ابن كثير وغيره، ومما يشهد لصحة ذلك أيضاً أن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – تزوج أم حبيبة، وجويرية ، رضي الله عنهما، بعد نزول ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ[٧٩٧] ﴾. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات.

سورة يس - الموضع الحادي والتسعون

قوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ[٧٩٨] ﴾ تدل هذه الآية على خصوص الإنذار بالمنتفعين به، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا[٧٩٩] ﴾ وقد جاءت آيات أخرى تدل على عموم الإنذار كقوله: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ

---

[٧٩٤]() تفسير ابن كثير ٣/ ٥٢٣ ، دفع إيهام الاضطراب ص . ٢٣٩

[٧٩٥]() سنن الترمذي ٥/ ٣٥٦ ح ٣٢١٦ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

[٧٩٦]() تفسير ابن كثير .523 / ٣

[٧٩٧]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٤١.

[٧٩٨]() سورة يس الآية .١١

[٧٩٩]() سورة النازعات الآية ٤٥.

﴿ قَوۡمًا لُّدًّا[٨٠٠]﴾ وقوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا[٨٠١]﴾ وقوله: ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارًا تَلَظَّىٰ[٨٠٢]﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول: إن الإنذار عام – وإنما خصص في بعض الآيات بالمؤمنين، لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم، بدليل قوله تعالى ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ[٨٠٣]﴾ – فالإنذار وعدمه بالنسبة للأشقياء سواء، لقوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ[٨٠٤]﴾ . قال أبو السعود: «قوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ أي: إنذاراً مستتبعًا للأثر ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: القرآن بالتأمل فيه»[٨٠٥] ﴿ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٍ[٨٠٦] ﴾ أي هذا هو المنتفع بالإنذار، وعليه فلا تعارض بين الآيات.

سورة الزمر - الموضع الثاني والتسعون

قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ[٨٠٧]﴾ تدل هذه الآية على أمرين:

الأول: أن المسرفين ليس لهم أن يقنطوا من رحمة الله، مع أنه جاءت آية تدل

---

[٨٠٠]() سورة مريم الآية ٩٧.

[٨٠١]() سورة الفرقان الآية ١.

[٨٠٢]() سورة الليل الآية ١٤.

[٨٠٣]() سورة الذاريات الآية ٥٥.

[٨٠٤]() سورة البقرة الآية ٦، دفع إيهام الاضطراب ص ٢٤٩.

[٨٠٥]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٧/ ١٦٠.

[٨٠٦]() سورة يس الآية ١١.

[٨٠٧]() سورة الزمر الآية ٥٣.

على خلاف ذلك، وهي قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ[٨٠٨]﴾ ويجاب عن ذلك : بأن الإسراف قد يكون بالكفر، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ وقد يكون بالمعاصي دون الكفر، وهذا هو المراد بقوله: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ.﴾

الأمر الثاني: أنها دلت على غفران جميع الذنوب وذلك مع ورود قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ[٨٠٩] ﴾ فالشرك لا يغفر، أجيب بأن هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ مخصصة لهذه . أي آية الزمر- وقال بعض العلماء هذه مقيدة بالتوبة بدليل قوله: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ[٨١٠]﴾ فإنه معطوف على قوله: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ وعلى ذلك فلا إشكال[٨١١]. قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: «إن قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ عامة وهي خطاب لجميع المشركين إذا أسلموا ودخلوا في الإسلام، ففي صحيح البخاري أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ق فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ وقد سمعوا آيات الوعيد، فنزل قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ ﴾ .. إلى قوله : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا[٨١٢]﴾ ونزل قوله:

---

[٨٠٨]() سورة غافر الآية ٤٣.

[٨٠٩]() سورة النساء الآية ٤٨.

[٨١٠]() سورة الزمر الآية ٥٤.

[٨١١]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٥٢.

[٨١٢]() سورة الفرقان الآيات ٧٠ – 68

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ[813]﴾.. الآية، وبذلك يتم التوفيق ويزول التعارض.

سورة الزخرف - الموضع الثالث والتسعون

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ[814]﴾ هذا العطف مع التنكير في هذه الآية يتوهم منه الجاهل تعدد الآلهة، مع أن الآيات القرآنية المتعددة تصرح بأن الله إله واحد، من ذلك قوله في سورة محمد: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ[815]﴾ وقوله: ﴿ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ[816]﴾.. فما وجه هذه الآيات؟ نقول: «إن معنى قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ ﴾ أنه معبود أهل السموات والأرض، فقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ ﴾ أي معبود وحده في السماء، كما أنه المعبود بالحق في الأرض»[817]. يقول أبو السعود: «﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ ﴾ الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل، من معنى العبودية بالحق، بناء على اختصاصه بالمعبود الحق، كأنه قيل: وهو الذي يستحق لأن يعبد فيهما»[818]. وعلى هذا يتم الجمع ويتضح المقام.

قال الألوسي: «ولا شك أن طريق عبادة أهل السماء له تعالى غير طريق عبادة أهل الأرض على ما يشهد به تتبع الآثار، فإذا كان إله بمعنى معبود كان معنى الآية

[813]() صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» الآية، ٥/ ٣٣.

[814]() سورة الزخرف الآية ٨٤.

[815]() سورة محمد الآية ١٩.

[816]() سورة المائدة الآية ٧3.

[817]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٥٩.

[818]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨/ ٥٦.

أنه تعالى معبود في السماء على وجه، ومعبود في الأرض على وجه آخر».[٨١٩] وبذلك يتم التوفيق ويرتفع الإشكال .

سورة الأحقاف - الموضع الرابع والتسعون

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ[٨٢٠] ﴾ تدل هذه الآية على أنه ق لا يعلم مصير أمره، وقد جاءت آية أخرى تدل على أنه – عليه الصلاة والسلام – عالم بمصير أمره، وأن مصيره إلى خير، وهي قوله تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ[٨٢١] ﴾ فإن قوله: ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ تنص على حسن عاقبته وخاتمته، وتوضيحًا للمقام نقول : إن الله تعالى اعلم رسوله ق بعد أن كان لا يعلم، ويستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ[٨٢٢] ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ[٨٢٣] ﴾ وقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ[٨٢٤] ﴾ والإجابات هذه هي معنى قول ابن عباس وآخرين بأنها منسوخة بقوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ.. ﴾ ويصدق ذلك أن سورة الأحقاف مكية، وسورة الفتح نزلت عام ست عقب رجوعه من الحديبية. وأجاب بعض العلماء بأن المراد ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أي في الدنيا من الحوادث والوقائع[٨٢٥]، وعلى

٨١٩() روح المعاني ٢٥/ ١٠٧.

٨٢٠() سورة الأحقاف الآية ٩.

٨٢١() سورة الفتح الآية ٢.

٨٢٢() سورة النساء الآية ١١٣.

٨٢٣() سورة الضحى الآية ٧.

٨٢٤() سورة القصص الآية ٨٦.

٨٢٥() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٦٢.

ذلك فلا إشكال. ويقول أبو السعود : « كانوا يسألون رسول الله ويقترحون عليه آيات عجيبة . ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة فأمر – عليه الصلاة والسلام – بأن يقول لهم: ﴿ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ قادراً على ما لم يقدروا عليه، حتى آتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب . وقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ أي شيء يصيبنا مستقبلاً من أفعاله تعالى ومن قضاياه . وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وقال: هي منسوخة بقوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ[٨٢٦] ﴾ .. وقال أيضا: «والأظهر أن – ما – عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والوقائع الدنيوية، دون ما سيقع في الآخرة، فإن العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي» [٨٢٧]. وبذلك يرتفع الإشكال.

الموضع الخامس والتسعون

قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ[٨٢٨] ﴾ يفهم من ظاهر هذه الآية أن جزاء المطيع من الجن غفران ذنوبه – وإجارته من عذاب أليم لا دخوله الجنة، وقد تمسك جماعة من العلماء بظاهر هذه الآية، وقالوا: إن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة – من هؤلاء الإمام أبي حنيفة. وقد جاءت آيات أخرى تدلل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة لقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ[٨٢٩] ﴾ عقب قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

---

[٨٢٦]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨/ ٧٩.

[٨٢٧]() المرجع السابق.

[٨٢٨]() سورة الأحقاف الآية ٣١.

[٨٢٩]() سورة الرحمن الآية ٤٦.

تُكَذِّبَانِ[830] ﴾ ويستأنس لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ[831] ﴾ أن ذلك يشير إلى أن في الجنة جناً يطمثون النساء كالإنس. فكيف نوفق بين الآيات ؟ نقول:

قال العلماء : «إن آية الأحقاف نص فيها على الغفران والإجارة من العذاب، ولم يتعرض فيها لدخول الجنة لا بنفي ولا بإثبات . وآية الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة، لأنه قال فيها: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ وقد تقرر أن الموصولات من صيغ العموم فقوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ ... ﴾ يعم كل خائف مقام ربه من إنس أو جن؛ لأنه تعالى صرح بشمول ذلك في قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ من هنا يتبين أنه لا تعارض بين الآيتين ؛ لأن إحداهما بينت ما لم تبينه الأخرى، ولأن قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ ﴾.. يدل على دخولهم الجنة بعموم المنطوق، والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر عند علماء الأصول»[832]. ويقول أبو السعود في تفسيره: « يا قومنا أجيبوا.. إلخ، والأظهر أنهم في حكم بني آدم ثواباً وعقاباً»[833]. وقال عند قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾[834] ﴾ والعبادة جزاؤها في الآخرة فمن أداها كما أمر الله أثابه الله والجنة دار الثواب، كما أنه تعالى خاطب الجن والإنس في قوله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا[835] ﴾ ومعنى هذا أن الرسل

---

[830]() سورة الرحمن الآية ٤٥.

[831]() سورة الرحمن الآية ٥٦، والآية ٧٤.

[832]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٦٣ – ٢٦٨ بتصرف واختصار.

[833]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨/ ٨٩.

[834]() سورة الذاريات الآية ٥٦.

[835]() سورة الأنعام الآية ١٣٠ .

مرسلون للإنس والجن، فمن أطاع أثيب ومن خالف عوقب من الثقلين . لهذا ولغيره من الآيات نقول: إن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا حسب شريعة الله. وبذلك يكون قد تم الجمع بين الآيات، وأزيلت شبهة التعارض.

سورة الطور - الموضع السادس والتسعون

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ[٨٣٦]﴾ تدل هذه الآية بمقتضى ظاهرها على عموم رهن كل إنسان بعمله ولو كان من أصحاب اليمين لشمولها المدلول عليه بلفظ كل، وقد جاءت آية أخرى تدل على عدم شمولها لأصحاب اليمين، وهي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ٣٩[٨٣٧]﴾ فما وجه التوفيق بين الآيتين؟ ونقول : إن آية الطور تخصصها آية المدثر.[٨٣٨]

يقول أبو السعود حول آية الطور: «كل امرئ بما كسب راهن ، أي : دائم ثابت، أي لا ينفك عن صاحبه»[٨٣٩]وحول آية المدثر يقول : «﴿ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴾ أي: مرهونة عند الله بكسبها. والرهينة اسم بمعنى الرهن ﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴾ فإنهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم»[٨٤٠]. فآية الطور عامة وآية المدثر خاصة، وبذلك ينحل الإشكال ويتم التوفيق . قال الألوسي: «كل امرئ بما كسب رهين – أي بكسبه وعمله – رهين – أي: مرهون عند الله، كان الكسب بمنزلة الدين، ونفس العبد بمنزلة الرهن، ولا ينفك الرهن ما لم يؤد الدين، فإن كان

٨٣٦() سورة الطور الآية .٢١

٨٣٧() سورة المدثر الآيتان .٣٩ ،٣٨

٨٣٨() دفع إيهام الاضطراب ص .٢٧5

٨٣٩() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٨/ ١٤٨.

٨٤٠() المرجع السابق ٩/ ٦١.

العمل صالحاً فقد أدى؛ لأن العمل الصالح يقبله ربه سبحانه ويصعد إليه - عز وجل -، وإن كان غير ذلك فلا أداء فلا خلاص؛ إذ لا يصعد إليه سبحانه غير الطيب، ولذا قال - عز وجل -﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ ﴾ فإن المراد كل نفس رهن بكسبها عند الله، غير مفكوك إلا أصحاب اليمين، فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم . [٨٤١]

سورة النجم - الموضع السابع والتسعون

قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ [٨٤٢] ﴾ تدل هذه الآية الكريمة على أنه لا ينتفع أحدٌ بعمل غيره، وقد جاءت آية أخرى تدل على أنه ربما انتفع بعض الناس بعمل غيره، وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [٨٤٣] ﴾ فرفع درجات الأبناء كباراً أو صغاراً؛ نفع حاصل بعمل آبائهم لا بعمل أنفسهم، فما وجه التوفيق بين الآيتين؟

نقول: أولا ما روي عن ابن عباس من أن هذا كان شرعة من قبلنا، ونسخ في شرعنا، فذلك غير صحيح، بل آية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ ﴾ محكمة، كما أن القول بأن المراد بالإنسان خصوص الكافر غير صحيح أيضاً . [٨٤٤]

وتتلخص الإجابة فيما يلي : أن الآية إنما دلت على ملك الإنسان لعمله، ولم تدل على عدم انتفاع الغير به ، وفَرْقٌ بين أن يكون سعي الغير ملكاً لساعية إن

---

[٨٤١]() روح المعاني ٢٧/ ٢٣.

[٨٤٢]() سورة النجم الآية ٣٩.

[٨٤٣]() سورة الطور الآية ٢١.

[٨٤٤]() المحرر الوجيز ١٤/ ١٢٠.

شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير، وبين إبقائه لنفسه دون بذله لأحد، وقد أجمع العلماء كما يقول الشنقيطي على انتفاع الميت بالصلاة عليه . والدعاء له. والحج عنه ونحو ذلك، مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه . كما أن إيمان الذرية هو السبب الأصيل في رفع درجاتهم؛ لأنهم لو كانوا كفرة ما حصل لهم ذلك، فإيمان العبد وطاعته سعي منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين، كما وقع في صلاة الجماعة، فصلاة بعضهم مع بعض سبب في زيادة الأجر، وتلك الزيادة انتفاع بعمل الغير، سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة، يشير إلى ذلك قوله:﴿ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾. كما أن السعي الذي حصل به رفع الدرجات للأولاد هو من سعي الآباء؛ أقر الله به عيونهم، فهو خارج عن قوله: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ، فرفع الله درجات الأولاد ليتمتع الآباء برؤيتهم في الجنة . فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها؛ لأن المقصود بالرفع إكرامُ الآباء قبل إكرام الأبناء، فانتفاع الأبناء تبعٌ، فضلا عن أن الولد من سعي أبيه، وتربيته على الإيمان والفضيلة على يد أبيه ليس أمراً متروكًا؛ بل هو أمر يثاب عليه الآباء[٨٤٥]. يقول الألوسي: ألحقنا بهم ذريتهم في الدرجة، فعن ابن عباس رفعه إلى النبي ق قال : « إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه» ثم قرأ الآية[٨٤٦] وعن ابن عباس أن النبي ق قال : «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له : إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به، وقرأ ابن عباس الآية»[٨٤٧].

---

[٨٤٥]() دفع إيهام الاضطراب ٢٧٩ – ٢٧٨ بتصرف كثير .

[٨٤٦]() مجمع الزوائد للهيثمي ٧/ ١١٤.

[٨٤٧]() مجمع الزوائد ٧/ ١١٤، وانظر: روح المعاني للألوسي ٢٧/ ٣٢.

وبذلك يتم التوفيق بين الآيتين ويزول ما يوهم التعارض.

سورة الحديد - الموضع الثامن والتسعون

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ[٨٤٨] ﴾ يدل هذا على أنه تعالى مستو على عرشه، عال على جميع خلقه، وقد جاء ما يوهم خلاف ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ.. ﴾ في الآية نفسها. فما وجه التوفيق بين الآيتين؟ نقول: إنه تعالى مستوٍ على عرشه كما قال، بلا كيف ولا تشبيه ، استواء لائقاً بكماله وجلاله، وجميع الخلائق تحت قدرته وفي يده أصغر من حبة خردل، فهو مع جميعهم بعلمه وقدرته وإحاطته الكاملة بكل الخلق، والعلم التام بكل ما يصدر من جميع المخلوقات، سبحانه أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً[٨٤٩] . وقد قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب. فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لخلقه، فسبحانه ليس كمثله شيء. والله أعلم وبذلك يزول التعارض.

سورة الممتحنة - الموضع التاسع والتسعون

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ[٨٥٠] ﴾ تدل هذه الآية على أن الكافر إذا لم يقاتل المؤمن في الدين ...إلخ لا يحرم بره، والإقساط إليه، وقد جاءت آية أخرى تدل على منع موالاة

---

[٨٤٨]() سورة الحديد الآية ٤.

[٨٤٩]() دفع إيهام الاضطراب ص .٢٨6

[٨٥٠]() سورة الممتحنة الآية ٨.

الكفار وموادتهم مطلقا. كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ[٨٥١]﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ[٨٥٢]﴾. وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ[٨٥٣]﴾ .. الآية. فكيف التوفيق بين هذه الآيات ؟ نقول: من يقول بنسخ هذه الآية فلا إشكال فيها على هذا القول.

وأما على القول بأنها محكمة، فوجه الجمع فيها أن الكافر الذي لم ينه عن بره والإقساط إليه، مشروط بعدم قتاله للمسلمين في الدين وإخراج المؤمنين من ديارهم، والكافر الذي يقاتل المؤمنين في الدين، والذي يعمل على إخراجهم من ديارهم المتعاون مع العدو، والمظاهر له ذلك هو المأمور بعدم بره والإقساط إليه[٨٥٤] . أخرج البخاري وغيره عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله تعالى عنهما – قالت: أتتني أمي راغبة وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ق فسألت رسول الله أأصلها؟، فأنزل الله تعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ.. ﴾ إلخ، فقال – عليه الصلاة والسلام – نعم صلي أمك»[٨٥٥]. وفي رواية الإمام أحمد وجماعة عن عبد الله بن الزبير قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا – وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها حتى أرسلت إلى عائشة – رضي الله عنها– أن تسأل رسول الله عن هذا، فسألته فأنزل الله هذه

---

[٨٥١]() سورة المائدة الآية ٥١.

[٨٥٢]() سورة الممتحنة الآية ٩.

[٨٥٣]() سورة المجادلة الآية ٢٢.

[٨٥٤]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٩٢.

[٨٥٥]() صحيح البخاري كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين ٣/ ١٤٢.

الآية ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ.. ﴾ الآية[٨٥٦] وقتيلة هذه كانت امرأة أبي بكر فطلقها في الجاهلية، وهي أم أسماء حقيقة[٨٥٧] وبذلك يتم التوفيق ويزول ما يوهم التعارض.

سورة المنافقون - الموضع المائة

قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ[٨٥٨] ﴾ .. الآية . هذا الذي شهدوا عليه حق لا شك فيه؛ لأن الله حق، ورسالته حق، وقد كذبهم الله بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ .. ﴾ في نفس الآية مع أن قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ يفيد وكأنه تصديق لهم فما وجه التوفيق بين ذلك؟ ونقول : إن تكذيب الله لهم منصب على إسنادهم الشهادة إلى أنفسهم في قولهم في (نشهد) وهم في باطن الأمر لا يشهدون برسالته. بل يعتقدون عدمها أو يشكون فيه، يدل للأول قوله تعالى: ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ[٨٥٩] ﴾ ويدل للثاني قوله: ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ[٨٦٠] ﴾. قال الألوسي : « والمراد بهؤلاء المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، وقال التكذيب راجع إلى قولهم: ﴿ نَشْهَدُ ﴾ وهو دعوى المواطأة في الشهادة، أي والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوه قولهم: ﴿ نَشْهَدُ ﴾ من دعوى المواطأة وتوافق اللسان والقلب في هذه الشهادة .. »[٨٦١] وقال الألوسي : «وجوز بعض الأفاضل أن يكون المعنى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ شأنهم الكذب وإن صدقوا في

---

[٨٥٦]() مسند الإمام أحمد ٤/ ٤.

[٨٥٧]() روح المعاني للألوسي ٢٨/ ٧٤.

[٨٥٨]() سورة المنافقون الآية ١.

[٨٥٩]() سورة البقرة الآية ١٣.

[٨٦٠]() سورة التوبة الآية ٤٥، دفع إيهام الاضطراب ص٢٩٦.

[٨٦١]() روح المعاني ٢٨/ ١٠٨.

هذا الخبر»[٨٦٢]. وبذلك يتم التوفيق بين ما ذكر في الآية.

سورة الطلاق - الموضع الحادي بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ[٨٦٣] ﴾ ظاهر هذا خصوص الخطاب لرسول الله ق ، وقوله تعالى: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ[٨٦٤] ﴾.. يقتضى خلاف ذلك، وخلاصة القول في التوفيق في الآية أن الخطاب لرسول الله ق، ولكنه عام لجميع الأمة[٨٦٥]. وأمثلة ذلك كثيرة ، ويقول ابن عطية في المحرر : «ذلك خروج من مخاطبة أفراد إلى مخاطبة جماعة، وقال آخرون : إن في نداء النبي ق أريدت أمته معه»[٨٦٦]. وبذلك يتم التوفيق.

الموضع الثاني بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا[٨٦٧] ﴾ ووجه الإيهام هنا أنه أفرد الضمير في هذه الآية في قوله: ﴿ يُؤْمِنۢ ﴾ . وقوله: ﴿ وَيَعْمَلْ ﴾ . وقوله: ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ . وقوله ﴿ لَهُۥ ﴾ وجمع في قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ .. ﴾ وللتوفيق بين ذلك نقول:

إن الإفراد باعتبار لفظ من ، والجمع باعتبار معناها ، وذلك كثير في القرآن،

---

[٨٦٢]() المرجع السابق .

[٨٦٣]() سورة الطلاق الآية ١ .

[٨٦٤]() سورة الطلاق الآية ١ .

[٨٦٥]() دفع إيهام الاضطراب ص .٢٩٧

[٨٦٦]() المحرر الوجيز ١٤/ ٤٨٨.

[٨٦٧]() سورة الطلاق الآية ١١.

وفي هذه الآية ردٌّ على من زعم أن مراعاة المعنى لا تجوز بعدها مراعاة اللفظ؛ لأنه في هذه الآية راعى المعنى في قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ ثم راعى اللفظ في قوله: ﴿ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا .[٨٦٨] ﴾

سورة القلم - الموضع الثالث بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥[٨٦٩]﴾ تفيد هذه الآية بنبذ يونس بالعراء، وقد جاءت آية أخرى توهم غير ذلك، وهي قوله تعالى ﴿ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩[٨٧٠] ﴾ فما وجه التوفيق بين الآيتين؟ نقول: « إن الامتناع المدلول عليه بحرف الامتناع – لولا – منصب على الجملة الحالية لا على جواب لولا. وتقرير المعنى : لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء في حالة كونه مذمومًا، لكنه تداركته نعمة ربه، فنبذ بالعراء غير مذموم. فهذه الحال عمدة لا فضله، أو أن المراد بالفضله ما ليس ركنا في الإسناد، وإن توقفت صحة المعنى عليه، ونظيرها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨[٨٧١]﴾ وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا[٨٧٢]﴾. لأن النفي فيهما منصب على الحال لا على ما قبلهما»، [٨٧٣] قال أبو السعود: «﴿ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ ﴾: أي بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبات،

---

[٨٦٨]() دفع إيهام الاضطراب ص .٢٩٧، ٢٥٠.

[٨٦٩]() سورة الصافات الآية ١٤٥.

[٨٧٠]() سورة القلم الآية ٤٩.

[٨٧١]() سورة الدخان الآية ٣٨.

[٨٧٢]() سورة ص الآية .٢٧

[٨٧٣]() دفع إيهام الاضطراب ص ٢٥٠.

روي أن الحوت سار مع السفينة رافعـًا رأسه يتنفس فيه يونس – عليه السلام – ويسبح، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر، فلفظه سالمـًا لم يتغير منه شيء فأسلموا .. ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ أي مما ناله»[٨٧٤] . وبذلك يتم التوفيق والجمع بين الآيتين.

سورة الجن - الموضع الرابع بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾[٨٧٥] ﴾ وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ[٨٧٦] ﴾ فكيف التوفيق وظاهر الآيتين التعارض؟ نقول:

معنى القاسط : الجائر من قسط، أي ظلم والمقسط: العادل من أقسط، فهما ضدان قال الألوسى: وأما القاسطون أي الجائرون عن سنن الإسلام فكانوا لجهنم حطبـًا توقد بهم، كما توقد بكفرة الإنس، أو هو خطاب من الله تعالى لنبيه – عليه الصلاة والسلام [٨٧٧] . كما يقول ابن عطية[٨٧٨] . أما قوله في الحجرات: ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ أي اعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ فيجازيهم أحسن الجزاء[٨٧٩]وبذلك يتم التوفيق.

سورة المدثر - الموضع الخامس بعد المائة

---

[٨٧٤]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٧/ ٢٠٥.

[٨٧٥]() سورة الجن الآية ١٥.

[٨٧٦]() سورة الحجرات الآية ٩.

[٨٧٧]() روح المعاني ٢٩/ ٨٩.

[٨٧٨]() المحرر الوجيز ١٦/ ١٣٧.

[٨٧٩]() روح المعاني الألوسي ٢٦/ ١٥٠.

قوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ [٨٨٠] ﴾ تدل هذه الآية بظاهرها أن قوماً يدخلون النار؛ لأنهم لم يكونوا يصلون، بينما جاءت آية أخرى تفيد أن الله ذم قوماً كانوا يصلون، فقال: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ [٨٨١] ﴾ فكيف نوفق بين الآيتين؟ نقول: قال الإمام أحمد: (إن قوله تعالى :﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ عنى بها المنافقين ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [٨٨٢] ﴾ حتى يذهب الوقت، ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ [٨٨٣] ﴾ يقول إذا رأوهم صلوا، وإذا لم يروهم لم يصلوا .

وأما قوله :﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يعني الموحدين المؤمنين)[٨٨٤] أي: الصلاة الصحيحة سرًّا وعلانية .

سورة المرسلات - الموضع السادس بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ [٨٨٥] ﴾ تفيد هذه الآية أن أهل النار لا ينطقون ولا يعتذرون، وقد جاءت آيات أخرى بخلاف ذلك كقوله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ [٨٨٦] ﴾ وقوله: ﴿ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ [٨٨٧] ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ [٨٨٨] ﴾ وغير ذلك من

---

[٨٨٠] () سورة المدثر الآيتان ٤٢ ، ٤٣ .

[٨٨١] () سورة الماعون الآية ٤ .

[٨٨٢] () سورة الماعون الآية ٥ .

[٨٨٣] () سورة الماعون الآية ٦ .

[٨٨٤] () الرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٩.

[٨٨٥] () سورة المرسلات الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

[٨٨٦] () سورة الأنعام الآية ٢٣.

[٨٨٧] () سورة النحل الآية ٢٨.

[٨٨٨] () سورة الأعراف الآية ٣٨.

الآيات فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ نقول: إن القيامة مواطن متعددة بعضها أعنف من الآخر، ففي بعضها ينطقون، وفي بعضها لا ينطقون، أو أنهم لا ينطقون بما فيه فائدة لهم، أو أن كلامهم ينقطع بعد قول الله لهم: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ(٨٨٩)﴾ قال الألوسي: «الإشارة إلى وقت دخولهم النار، أي هذا يوم لا ينطقون بشيء ينفعهم، فجعل نطقهم لعدم النفع كلا نطق، ثم قال والظاهر أن نفي الاعتذار باعتبار بعض المواطن والمواقيت كنفي النطق، وجوز أن يكون المنفي حقيقة الاعتذار النافع، فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ(٨٩٠)»﴾ وبذلك يتم التوفيق.

سورة الانفطار - الموضع السابع بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ(٨٩١)﴾ تدل هذه الآية بظاهرها أن الذي يعلم يوم القيامة هي نفس واحدة، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن كل نفس تعلم.. نحو ﴿ هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ(٨٩٢)﴾ وقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ(٨٩٣)﴾، وغير ذلك من الآيات. فما وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ ونقول:

إن المراد بقوله: ﴿ نَفۡسٞ ﴾ كل نفس: والنكرة وإن كانت لا تعم إلا في سياق

٨٨٩() سورة المؤمنون الآية ١٠٨، دفع إيهام الاضطراب ص٣٠٦.

٨٩٠() سورة غافر الآية 52، وانظر: روح المعاني الألوسي ٢٩/ ١٧٧.

٨٩١() سورة الانفطار الآية ٥.

٨٩٢() سورة يونس الآية ٣٠.

٨٩٣() سورة الإسراء الآية ١٣.

النفي أو الشرط أو الامتنان، كما تقرر في علم الأصول، فالتحقيق أنها ربما أفادت العموم بقرينة السياق، بدون نفي أو شرط أو امتنان كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ[٨٩٤] ﴾ ، وقوله: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ[٨٩٥] ﴾ وبذلك يتم التوفيق . قال الألوسي: «وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم لفرد من النفوس، أو لبعض منها إيذانًا بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة، من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة قطعًا يعرفه كل أحد» .[٨٩٦]

سورة الفجر - الموضع الثامن بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا[٨٩٧] ﴾ توهم هذه الآية أنه ملك واحد وقوله: ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ يفيد أنه أكثر من ملك، بل صفوف من الملائكة، فما وجه التوفيق بين الآية؟ نقول: إن قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ معناه والملائكة، وذلك كقوله في سورة الحاقة ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا[٨٩٨] ﴾ ، فالملك اسم جنس يشمل كل الملائكة. قال أبو السعود : «﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي: ظهرت آيات قدرته وآثار قهره، أو جاء أمره وقضاؤه، ﴿ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: مصطفين صفوفًا، فإنه ينزل يومئذ ملائكة السماء فيصطفون صفًّا بعد صفٍّ بحسب منازلهم محدقين بالجن والإنس»[٨٩٩]. وبهذا يتم التوفيق.

---

[٨٩٤]() سورة التكوير الآية ١٤.

[٨٩٥]() سورة الزمر الآية ٥٦، دفع إيهام الاضطراب ص . ٣١١

[٨٩٦]() روح المعاني ٣٠/ ٥٧.

[٨٩٧]() سورة الفجر الآية .٢٢

[٨٩٨]() سورة الحاقة الآية ١٧، دفع إيهام الاضطراب ص .٣٢٠

[٨٩٩]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٩/ ١٥٧.

سورة البلد - الموضع التاسع بعد المائة

قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ [٩٠٠] ﴾ تفيد هذه الآية أنه تعالى لا يقسم بهذا البلد التي هي مكة المكرمة، مع أنه تعالى أقسم بها في قوله: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ [٩٠١] ﴾ فما وجه التوفيق بين الآيتين؟ نقول : يرى الجمهور أن «لا» هنا صلة على عادة العرب، فإنها ربما لفظت بلفظة بدون قصد معناها الأصلي، بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده كقوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي [٩٠٢] ﴾ يعني أن تتبعني، وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ [٩٠٣] ﴾ أي: أن تسجد على أحد القولين[٩٠٤]، قال السيوطي في الإتقان في هذا الباب قال الخطابي: سمعت ابن أبي هريرة يحكي عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قوله: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ فأخبر أنه لا يقسم به، ثم أقسم به في قوله: ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ فقال: أيما أحب إليك؟ أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال: اقطعني ثم أجبني، فقال له : اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ق بحضرة رجال، وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزة، وعليه مطعنًا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، ولم ينكروا منه ما أنكرت، ثم قال له: إن العرب قد تدخل - لا

---

[٩٠٠]() سورة البلد الآية ١.

[٩٠١]() سورة التين الآية ٤.

[٩٠٢]() سورة طه الآية ٩٣.

[٩٠٣]() سورة الأعراف الآية ١٢.

[٩٠٤]() دفع إيهام الاضطراب ص ٣٢١.

- في أثناء كلامها وتلغي معناها..»[٩٠٥] وبذلك يكون قد تم التوفيق والجمع بين الآيتين.

الموضع العاشر بعد المائة

قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ [٩٠٦]﴾ يدل ظاهر هذه الآية على أن المسكين لاصق بالتراب، ليس عنده شيء، فهو أشد فقرًا من مطلق الفقر، بينما جاءت آيات أخرى بخلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ [٩٠٧]﴾ فهؤلاء لهم سفينة، وأطلق عليهم مساكين، فما وجه التوفيق بين الآيتين؟. نقول : إن لفظ مسكين إذا قيد بمن كان معدمًا كآية البلد؛ فذلك يعلم من القيد الزائد لا من مطلق لفظ المسكين، وإذا لم يقيد بأن كان عنده شيء لا يكفيه، فيطلق عليه أيضـًا مسكين فلا منافاة، وأما آية الكهف فقد قال فيها المفسرون: إنهم كانوا أجراء وليست ملكـًا لهم أو كانت مستأجرة، أو أن إطلاق مساكين عليهم ترحمـًا لضعفهم وحالهم، وقد عقَّب الشنقيطي على هاتين الآيتين بعد سرده للأقوال التي قيلت في المراد بالمساكين في آية الكهف، بقوله: (والذي يتبادر إلى ذهن المنصف، أن مجموع الآيتين على أن لفظ المسكين مشكك؛ لتفاوت أفراده، فيصدق بمن عنده ما لا يكفيه، بدليل آية الكهف، ومن هو لاصق بالتراب لا شيء عنده، بدليل آية البلد ، كاشتراك الشمس والسراج في النور مع تفاوتهما.. والمشكك إذا أطلق ولم يقيد بوصف الأشد به، انصرف إلى مطلقه،

---

[٩٠٥]() الإتقان في علوم القرآن ٣/ ٨٨.

[٩٠٦]() سورة البلد الآية ١٦.

[٩٠٧]() سورة الكهف الآية ٧٩.

هذا ما ظهر. والعلم عند الله تعالى).[٩٠٨]

سورة الشمس - الموضع الحادي عشر بعد المائة

قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا[٩٠٩]﴾ تدل هذه الآية على أن الله تعالى هو الذي يجعل الفجور والتقوى في القلب، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن فجور العبد وتقواه باختياره ومشيئته لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ[٩١٠]﴾ وقوله تعالى: ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ[٩١١]﴾ قال الشنقيطي في هذه المسألة : وهذه المسألة هي التي ضل فيها القدرية والجبرية . أما القدرية فضلوا بالتفريط حيث زعموا أن العبد يخلق أفعال نفسه استقلالاً من غير تأثير لقدرة الله فيه، وأما الجبرية فضلوا بالإفراط حيث زعموا أن العبد لا عمل له أصلاً حتى يؤاخذ به، وبغير ذلك قال أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا – ولم يفرطوا - فاثبتوا للعبد أفعالاً اختيارية، ومن الضروري عند جميع العقلاء أن الحركة الارتعاشية ليست كالحركة الاختيارية ، وأثبتوا أن الله خالق كل شيء، فهو خالق العبد وخالق قدرته وإرادته، وتأثير قدرة العبد لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى، فالعبد وجميع أفعاله بمشيئة الله تعالى، ومع أن العبد يفعل اختيارًا بالقدرة والإرادة اللتين خلقهما الله فيه فعلاً واختياراً يثاب عليه ويعاقب، فلا مشيئة للعبد إلا بمشيئة الله ، فكل شيء صادر عن قدرته ومشيئته جل وعلا، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن

---

[٩٠٨]() دفع إيهام الاضطراب ص ٣٢٨-٣٢٧ بتصرف.

[٩٠٩]() سورة الشمس الآية ٨ .

[٩١٠]() سورة فصلت الآية ١٧.

[٩١١]() سورة البقرة الآية ١٦.

يَشَآءَ ٱللَّهُ[٩١٢]﴾ ويقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ[٩١٣]﴾ وأما على قول من فسر الآية بأن معنى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أنه بيَّن لها طريق الخير وطريق الشر، فلا إشكال في الآية، يقول أبو السعود : « أي أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح، وما يؤدي إليه كل منهما، ومكنها من اختيار أيهما شاءت»[٩١٤]. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات.

سورة الزلزلة - الموضع الثاني عشر بعد المائة

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ[٩١٥]﴾ تدل هذه الآية على أن كل إنسان يجازى على عمله قليلاً كان أو كثيرًا، مسلمًا كان أو كافرًا، وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف هذا العموم، كقوله في الكفار: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ[٩١٦]﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا[٩١٧]﴾ وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ[٩١٨]﴾ وغير ذلك من الآيات، وأما بالنسبة للمسلم، وما يعمله من عمل شر، فقد صرحت الآيات

---

[٩١٢]() سورة الإنسان الآية ٣٠.

[٩١٣]() سورة الأنعام الآية ١٤٩، وانظر: دفع إيهام الاضطراب ص ٣٣٠ بتصرف.

[٩١٤]() إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٩/ ١٦٤.

[٩١٥]() سورة الزلزلة الآيتان ٧، ٨.

[٩١٦]() سورة. هود الآية ١٦.

[٩١٧]() سورة الفرقان الآية ٢٣.

[٩١٨]() سورة إبراهيم الآية ١٨.

باحتمال مغفرته، كقوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ[٩١٩] ﴾ وقوله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا[٩٢٠] ﴾ فما وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

نقول : إن آية الزلزلة من العام المخصوص، والمعنى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ إن لم يحبطه الكفر، بدليل آيات إحباط الكفر عمل الكفار، وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ إن لم يغفره الله، بدليل آيات احتمال الغفران والوعد به، وأيضـًا قد تكون الآية على عمومها، ويكون معناها أن المؤمن يرى كل ما قدم من خير وشر، فيغفر الله له الشر ويثيبه على الخير، والكافر يرى كل ما قدم من عمل، فيحبط ما قدم من خير، ويجازى بما فعل من شر، وأيضا قد تكون على عمومها، وأن الكافر يرى جزاء كل عمله الحسن في الدنيا، لقوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا[٩٢١]﴾ وقوله : ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ[٩٢٢]﴾ والمؤمن يرى جزاء عمله السيء في الدنيا بالمصائب والابتلاءات[٩٢٣] قال ابن عباس: «ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله تعالى إياه ، أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته تحسراً، ويعاقبه بسيئاته»[٩٢٤]. وبذلك يتم التوفيق بين الآيات. وذكر الألوسي المسألة مفصلة فقال

---

[٩١٩]() سورة النساء الآية ١١٦.

[٩٢٠]() سورة النساء الآية ٣١.

[٩٢١]() سورة هود الآية ١٥.

[٩٢٢]() سورة النور الآية ٣٩.

[٩٢٣]() دفع إيهام الاضطراب ص . 341

[٩٢٤]() روح المعاني ٣٠/ ١٨٩.

ضمن ما قال.. فقد التزم بعضهم كون المراد من الأولى السعداء، ومن الثانية الأشقياء، بناء على أن ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ .. ﴾ إلخ، تفصيل ليصدر الناس أشتاتا، وليناسب قوله: ﴿ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ فالمناسب أن يرجع كل فقرة إلى فرقة، ليطابق المفصل المجمل، ولأن الظاهر من قوله: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ ﴾ ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ ﴾ بتكرير أداة الشرط يقتضي التغاير بين العاملين.[925]

وقال آخرون بالعموم. بما أوضحناه آنفـًا، فقد أخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب، عن أنس قال: بينما أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يأكل مع النبي ق إذ نزلت عليه ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ .. ﴾ الآية، فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال – عليه الصلاة والسلام-: «يا أبا بكر أرأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة»[926] وفي رواية ابن مردويه عن أبي أيوب أنه ق قال له إذ رفع يده : »من عمل منكم خيرا فجزاؤه في الآخرة، ومن عمل منكم شرًّا يره في الدنيا مصيبات وأمراضـًا ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة[927]«. والله أعلم. وبذلك يتم الجمع والتوفيق بين الآيات وتزول شبهة إيهام التعارض.

***

---

[925]() الدر المنثور ٨/ ٥٩٥.

[926]() المرجع السابق ٨/ ٥٩٣.

[927]() المرجع السابق٨/ ٥٩٤.

خاتمة البحث

تم بحمد الله وتوفيقه الكتابة في هذا البحث المفيد، وإزالة ما ظاهره التعارض في الآيات التي تضمنها البحث، وهي عبارة عن مائة واثني عشر موضعًا مستوفاة، موضحـًا الآيات في سورها موفِّقًا بينها بما يزيل اللبس.

وبعد: فهذا جهدي المقل، فإن كنت أصبت الحق، فبفضل الله وكرمه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأستغفر الله، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا إنك غفور رحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع

١- أحمد بن حنبل : (أبو عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني)، الرد على الجهمية والزنادنة تحقيق وتعليق عبدالرحمن عميرة . مكتبة دار اللواء ١٣٩٧هـ، الرياض.

٢- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تصوير تركيا من النسخة الميمنية طبعة الحلبي، مصر.

٣- الأشعري : (أبو الحسن علي)، الإبانة عن أصول الديانة . تحقيق فوقية حسين محمود. الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ. دار الأنصار . مصر.

٤- الألوسي : (شهاب الدين، السيد محمود البغدادي)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، ودار إحياء التراث العربي . بيروت.

٥- البخاري: (أبوعبدالله، محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، تصوير تركيا، دار الدعوة ١٤٠١هـ.

٦- البيضاوي : (ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله بن عمر)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ط ٢ مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر ١٣٨٨هـ.

٧- الترمذي: (أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة)، سنن الترمذي المسمى بالجامع الصحيح . تصوير تركيا. دار الدعوة ١٤٠١هـ.

٨- ابن تيمية : (أحمد بن عبد الحليم) ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع و ترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . الرياض.

٩- ابن تيمية : (أحمد بن عبد الحليم)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية . مكتبة الرياض الحديثة . الرياض.

١٠- الجرجاني: (علي بن محمد)، التعريفات، ضبطه وفهرسه محمد بن عبد الحكيم القاضي . ط ا دار الكتاب المصري . القاهرة ١٤١١ هـ.

١١- ابن جرير الطبري : (محمد بن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق حواشيه محمود شاكر، راجعه وخرج أحاديثه أحمد شاكر. ط ٢ دار المعارف. مصر.

١٢- ابن حجر : (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني)، فتح الباري شرح صحيح البخاري. قرأ أصله تصحيحًا وتحقيقًا، وأشرف على مقابلة نسخة المطبوعة والمخطوطة عبدالعزيز بن عبد الله بن باز . نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (سابقًا). الرياض.

١٣- ابن حزم الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل. الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

أبو حيان: (أثير الدين، محمد بن يوسف، أبو حيان، الأندلسي الغرناطي)، تفسير البحر المحيط . ط ٢. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٣هـ.

١٤- الدارمي : (عبدالله بن عبدالرحمن)، سنن الدارمي. دار الدعوة . استنابول ١٩٨١م.

١٥- الدارمي : (عثمان بن سعيد)، الرد على الجهمية. قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليها بدر البدر. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، الدار السلفية . الكويت .

١٦- أبو داود : (سليمان بن الأشعث السجستاني)، سنن أبي داود. تصوير تركيا. دار الدعوة ١٤٠١هـ .

١٧- الدباغ : (مصطفى)، وجوه من الإعجاز القرآني . الطبعة الأولى ١٩٨٢م. مكتبة المنار، الأردن .

١٨- الذهبي : (أبو عبدالله شمس الدين)، تذكرة الحفاظ . دار الفكر العربي .

١٩- الزركشي : (بدر الدين، محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢. عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

٢٠- أبو السعود : (محمد بن محمد العمادي)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار إحياء التراث العربي . بيروت .

٢١- سليمان بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض.

٢٢- السيوطي : (جلال الدين، عبد الرحمن)، الإتقان في علوم القرآن . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث. القاهرة .

٢٣- السيوطي: (جلال الدين، عبد الرحمن)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٢٤- الشنقيطي : (محمد الأمين الجكني)، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. مكتبة ابن تيمية . القاهرة .

٢٥- الشوكاني : (محمد بن علي)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . نشره محفوظ العلي . بيروت.

٢٦- الضويحي : (علي بن سعد)، آراء المعتزلة الأصولية دارسة وتقويمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. الرياض.
٢٧- الطاهر بن عاشور : (محمد الطاهر بن عاشور)، تفسير التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر . تونس .
٢٨- ابن العربي : (أبو بكر، محمد بن عبدالله)، أحكام القرآن تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر، بيروت .
٢٩- ابن عطية : (أبو محمد، عبدالحق بن غالب الغرناطي)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين. ط١ . مؤسسة دار العلوم . الدوحة قطر 1398 هـ .
٣٠- علي بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق جماعة من العلماء. الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ. المكتب الإسلامي. بيروت .
٣١- الفخر الرازي : (أبو عبد الله، محمد بن عمر)، التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي . بيروت.
٣٢- القاضي عبدالجبار الهمداني ، تنزيه القرآن عن المطاعن دار النهضة الحديثة . بيروت .
٣٣- القاضي عبدالجبار الهمداني ، شرح الأصول الخمسة . تحقيق عبد الكريم عثمان. الطبعة الأولى ٤١٣٨ هـ. مكتبة وهبة ، القاهرة.
٣٤- ابن قتيبة : (أبو محمد، عبدالله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن . شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية ، بيروت.
٣٥- القرطبي : (أبو عبد الله، محمد بن عبد الله القرطبي)، الجامع لأحكام

القرآن . دار إحياء التراث العربي . بيروت.

٣٦- ابن قيم الجوزية : (أبو عبد الله، شمس الدين محمد)، الروح. دراسة وتحقيق بسام علي سلامة العموش. ط١، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع. الرياض ١٤٠٦هـ .

٣٧- ابن قيم الجوزية : (أبو عبد الله، شمس الدين محمد)، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. تحقيق علي الدخيل الله. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار العاصمة الرياض .

٣٨- ابن كثير: (أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي)، تفسير ابن كثير، علق حواشيه، وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف، وصححه وأشرف عليه محمد الصديق . الفجالة الجديدة ، القاهرة ٤١٣٨ هـ .

٣٩- ابن ماجه : (أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني)، سنن ابن ماجه . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . مطبعة عيسى الحلبي وشركاه . القاهرة .

٤٠- مسلم : (أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم . تصوير تركيا. دار الدعوة ١٤٠١هـ.

٤١- المعتق: (عواد بن عبد الله)، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها. الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. الرياض.

٤٢- النسائي : (أحمد بن شعيب)، سنن النسائي . جمع و شرح السيوطي . ضمن الكتب الستة . دار الدعوة استنابول ١٩٨١م.

٤٣- الهيثمي: (نور الدين علي بن أبي بكر)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . دار الكتاب العربي . بيروت.

المحتويات

مقدمة	٣
سورة البقرة – الموضع الأول	٨
الموضع الثاني	١١
الموضع الثالث	١٣
الموضع الرابع	١٥
الموضع الخامس	١٧
الموضع السادس	١٨
الموضع السابع	١٩
الموضع الثامن	٢١
الموضع التاسع	٢٢
الموضع العاشر	٢٤
الموضع الحادي عشر	٢٥
الموضع الثاني عشر	٢٦
الموضع الثالث عشر	٢٨
الموضع الرابع عشر	٣٠
الموضع الخامس عشر	٣٠
الموضع السادس عشر	٣٢
الموضع السابع عشر	٣٤
سورة آل عمران – الموضع الثامن عشر	٣٦
الموضع التاسع عشر	٤٠
الموضع العشرون	٤٣

الموضع الحادي والعشرون	٤٥
الموضع الثاني والعشرون	٤٧
الموضع الثالث والعشرون	٤٨
الموضع الرابع والعشرون	٤٩
الموضع الخامس والعشرون	٥٠
سورة النساء – الموضع السادس والعشرون	٥٢
الموضع السابع والعشرون	٥٣
الموضع الثامن والعشرون	٥٤
الموضع التاسع والعشرون	٥٧
الموضع الثلاثون	٥٨
الموضع الحادي والثلاثون	٥٩
الموضع الثاني والثلاثون	٦١
سورة المائدة الموضع الثالث والثلاثون	٦٣
الموضع الرابع والثلاثون	٧٠
الموضع الخامس والثلاثون	٧١
الموضع السادس والثلاثون	٧٢
سورة الأنعام – الموضع السابع والثلاثون	٧٤
الموضع الثامن والثلاثون	٧٥
الموضع التاسع والثلاثون	٧٧
الموضع الأربعون	٧٩
الموضع الحادي والأربعون	٨٤
الموضع الثاني والأربعون	٨٦
الموضع الثالث والأربعون	٨٩

سورة الأعراف – الموضع الرابع والأربعون	٩١
الموضع الخامس والأربعون	٩٢
الموضع السادس والأربعون	٩٣
الموضع السابع والأربعون	٩٤
سورة الأنفال – الموضع الثامن والأربعون	٩٦
الموضع التاسع والأربعون	٩٧
الموضع الخمسون	٩٨
سورة التوبة – الموضع الحادي والخمسون	١٠٠
الموضع الثاني والخمسون	١٠٢
الموضع الثالث والخمسون	١٠٣
سورة يونس – الموضع الرابع والخمسون	١٠٤
الموضع الخامس والخمسون	١٠٦
الموضع السادس والخمسون	١٠٦
سورة هود – الموضع السابع والخمسون	١٠٨
الموضع الثامن والخمسون	١١٠
الموضع التاسع والخمسون	١١١
سورة يوسف الموضع الستون	١١٤
سورة الرعد – الموضع الحادي والستون	١١٥
الموضع الثاني والستون	١١٩
الموضع الثالث والستون	١٢٠
سورة الحجر – الموضع الرابع والستون	١٢١
سورة النحل – الموضع الخامس والستون	١٢٢
الموضع السادس والستون	١٢٤

الموضع السابع والستون	١٢٦
الموضع الثامن والستون	١٢٧
سورة الإسراء – الموضع التاسع والستون	١٢٨
الموضع السبعون	١٣٤
الموضع الحادي والسبعون	١٣٥
سورة الكهف – الموضع الثاني والسبعون	١٣٧
سورة مريم – الموضع الثالث والسبعون	١٣٧
الموضع الرابع والسبعون	١٤٠
الموضع الخامس والسبعون	١٤١
سورة طه – الموضع السادس والسبعون	١٤٣
الموضع السابع والسبعون	١٤٥
سورة الأنبياء – الموضع الثامن والسبعون	١٤٥
سورة الحج – الموضع التاسع والسبعون	١٤٧
الموضع الثمانون	١٤٨
سورة المؤمنون – الموضع الحادي والثمانون	١٥١
سورة النور – الموضع الثاني والثمانون	١٥٢
سورة الفرقان – الموضع الثالث والثمانون	١٥٤
سورة الشعراء – الموضع الرابع والثمانون	١٥٥
سورة النمل – الموضع الخامس والثمانون	١٥٧
سورة القصص – الموضع السادس والثمانون	١٥٩
سورة الروم – الموضع السابع والثمانون	١٦١
سورة السجدة – الموضع الثامن والثمانون	١٦١
سورة الأحزاب – الموضع التاسع والثمانون	١٦٣

الموضع التسعون	١٦٤
سورة يس - الموضع الحادي والتسعون	١٦٥
سورة الزمر - الموضع الثاني والتسعون	١٦٦
سورة الزخرف - الموضع الثالث والتسعون	١٦٨
سورة الأحقاف - الموضع الرابع والتسعون	١٦٩
الموضع الخامس والتسعون	١٧٠
سورة الطور - الموضع السادس والتسعون	١٧٢
سورة النجم - الموضع السابع والتسعون	١٧٣
سورة الحديد - الموضع الثامن والتسعون	١٧٥
سورة الممتحنة - الموضع التاسع والتسعون	١٧٦
سورة المنافقون - الموضع المائة	١٧٧
سورة الطلاق - الموضع الحادي بعد المائة	١٧٨
الموضع الثاني بعد المائة	١٧٩
سورة القلم - الموضع الثالث بعد المائة	١٧٩
سورة الجن - الموضع الرابع بعد المائة	١٨٠
سورة المدثر - الموضع الخامس بعد المائة	١٨١
سورة المرسلات - الموضع السادس بعد المائة	١٨٢
سورة الانفطار - الموضع السابع بعد المائة	١٨٣
سورة الفجر - الموضع الثامن بعد المائة	١٨٤
سورة البلد - الموضع التاسع بعد المائة	١٨٤
الموضع العاشر بعد المائة	١٨٥
سورة الشمس - الموضع الحادي عشر بعد المائة	١٨٦
سورة الزلزلة - الموضع الثاني عشر بعد المائة	١٨٨

خاتمة البحث ١٩٢
ثبت المصادر والمراجع ١٩٣
المحتويات ١٩٩